الاقتباس عند البلاغيين
أنواعه وأحكامه

الدكتور/ عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية ـــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقـــدمة :

الحمـــد لله العـــلي الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وصلّى الله وسلّم على محمد المبعوث إلى خير الأمم ، الذي نســـتهدي بهديه إلى الطريق الأقـــوم ، ونقتبس من سنته العلوم والحكم ، أما بعد :

فـــإن في المباحـــث البلاغية ما هو بحاجة إلى استجلاء ودرس وتحليل ، إما لأهميـــته ، وإما لكون كلام العلماء فيه قليلاً أو لتفرقه أو لكليهما معاً، وتعظم الحاجة إلى ذلك الدرس والتحليل إذا كان الموضوع ذا صلة بالقرآن والسنة .

ومـــن تلكـــم المباحث البلاغية المهمة التي هي وثيقة الصلة بالقرآن والسنة " الاقتبـــاس " .

فعـــلى ما كتبه فيه البلاغيون وغيرهم ، وما أفرد فيه من رسائل مستقلة فإن مجال القول فيه ما زال ذا سعة ، ولم تكتمل جوانبه بعد .

ولقـــد قيل : إن العلوم لا يكتمل نموها، ولا تبلغ مرحلة ازدهارها، إلا حين تظهـــر المصنفات المستقلة في المســـائل المفردة منها، تأريخاً لأصولها ، وتأصيلاً لفروعها ، وضبطاً لمسائلها ، وجمعاً لشتيت كلام العلماء فيها ومذاهبهم .

وقـــد كان البلاغيون في بحثهم للاقتباس يعرضـــون له من حيث هـــو فنٌّ بديعي جميل، يَبين به فضل الكلام ، وتتفاوت فيه أساليب البلغاء ، من الشعراء والناثرين ، وأما غير البلاغيين ، وأعني بهم علماء الشريعة والفقهاء ، فيتناولونه من جهة حكمه الشرعي ، جوازاً أو منعاً .

وثمة جماعة من المصنفين وضعوا فيه تآليف مفردة ، طرقوه فيها من غير جهة وقد انتهى إلينا بعض تلك التآليف ، وبعضها ما زال مخطوطاً ، ومنها ما لا نعلم عنه شيئاً سوى اسمه ، ومن تلك المصنفات :

١ ــ الاقتباس من القرآن الكريم ، لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) " مطبوع " [١].

٢ ــ اقتباسات القرآن،للشهاب أحمد بن محمد الحجازي (ت ٨٧٥ هـ) ذكره السيوطي [٢] .

٣ ــ أحاسن الاقتياس في محاسن الاقتباس ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) " مخطوط " [٣] .

٤ ــ رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس ، للسيوطي أيضاً " مطبوع " [٤] .

٥ ــ دفع الالتباس عن منكِر الاقتباس ، لأبي بكر محمد بن أبي اللطف الحَصْكَفي الشافعي (كان حياً سنة٩٩٢ هـ) " مخطوط " [٥] .

٦ ــ رنة المثاني في حكم الاقتباس القرآني ، لعبد الله بن عمر بن محمد الطرابلسي الدمشقي الحنفي (ت ١١٤٥ هـ) [٦] .

---

(١) بتحقيق د. ابتسام الصفار ود. مجاهد مصطفى بهجت ، وصدر عن دار الوفاء بمصر سنة ١٤١٢ هـ .

(٢) في رفع الباس (١ / ٢٥٩ ــ ضمن الحاوي للفتاوي ــ) وذكره السيوطي أيضاً في ترجمة الحجازي في كتابه" المنجم في المعجم " (٦٤) باسم "قلائد النحور من جواهر البحور " وأشار السيوطي هنا إلى أنه في اقتباسات القرآن . ولكن ذكر بروكلمان أن هذا الكتاب يضم عدة أبيات تعليمية يسهل التعرف منها على البحور الشعرية المختلفة ويبدأ بآيات قرآنية ذات وزن عروضي ، ثم أشار بروكلمان إلى أنه قد طبع ضمن مجموعة . و لم أقف عليه . ينظر : " تاريخ الأدب العربي " (القسم السادس ج ١ ص ٥٢) .

(٣) منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (٩٧ مجاميع) ولدي مصورة منها .

(٤) ضمن كتابه الحاوي للفتاوي (١ / ٢٥٩ ــ ٢٨٤) .

(٥) في دار الكتب المصرية برقم (١٣٠ مجاميع م) ولدي مصورة منه . وذكر صاحب هدية العارفين (٦/ ٢٤٢) أن ابن أبي اللطف توفي سنة (٩٦٠هـ) ولكن جاء في آخر المخطوط أن مصنفه فرغ من تسويده سنة (٩٩٢هـ) ، وانظر أيضاً : معجم المؤلفين (١١ / ١٦٥) .

(٦) إيضاح المكنون (٤ / ٥٨٣) .

٧ ــ حكم الاقتباس ، لمحمد الإفراني (توفي بعد ١١٥٥ هــ) [١] .

ذلــك مجمل ما وجدنا من أسماء التآليف في موضوع الاقتباس ، وقد وقفت عــلى كــتاب الثعالبي فإذا هو قد جمع فيه شيئاً كثيراً من اقتباسات البلغاء ــ شــعراء وناثــرين ــ مــن القــرآن ، و لم أركتاب الشهاب الحجازي ، وأما " أحاســن الاقتباس " فرســالة صغيرة في خمس ورقات ، أودعها الســيوطي نظمًــا له فيه اقتبــاس من القرآن ، على هيئــة مقطوعات، رتب رويّها على حــروف الهجــاء ، وأما رسالته الأخرى " رفع الباس " فتعرض فيها للحكم الشــرعي للاقتــباس ، قاطعاً بجوازه وقد حشد فيها جمعاً من النصوص النثرية والشعرية ، المشتملة على الاقتباس ، ومن كلام العلماء ، مما يؤيد مذهبه .

وأمــا " دفــع الالتباس " فرسالة في بيان جواز الاقتباس ، وهي في ســبع ورقات كتبها ابن أبي اللطف رداً على من أنكر عليه اقتباساً في أحد خطاباته ، وقد ساق ابن أبي اللطف في رسالته شيئاً من اقتباسات بعض العلماء في خطبهم وأشعارهم ، ومن خطبه هو التي ألقاها من على منبر المســجد الأقصى ــ فك الله أســــره ــ حيــث كــان خطيباً له ، كما نقل عن السيوطي كلامه في الاقتباس في حاشيته على تفسير البيضاوي .

وأمــا الرسالتان أو المصنفان الآخران " رنة المثــاني " للطرابلسي و " حكم الاقتباس "للإفراني فلم أقف عليهما، وواضح من عنوانيهما أنــهما يتحدثان في الاقتباس من الوجهة الشرعية ، والله أعلم [٢] .

---

(١) ذكره في كتابه المسلك السهل (٨٧) وقال محققه : " لم يحصل لنا علم بمصيره " .

(٢) وقفــت على مخطوط بعنوان : " الروضة والمقياس في ضروب الاقتباس " محفوظ في مكتبة لا له لي برقم (١٧٩٣) الموجودة الآن في المكتبة الســليمانية بإصطنبول (ينظر فهرس مكتبة لا له لي ص ١٣٢) ، والمؤلــف ــ كمــا جاء على طرته ــ أبو الفتوح محمد خليل (لم أقف على ترجمته ، وجــاء في آخــر المخطوط أنه فرغ من تحريره سنة ١١٩٢ هــ) وقد حصلت على مصورة منه ، وبعــد فحصــه تبين أنه كتاب في العروض ، وقد اقتبس المؤلف من آيات القرآن ما يكون ضابطا لأوزان البحور الشعرية .

ثم إني رغبت أن أدلي بدلوي بين الدلاء ، وأضرب بسهم في هذا الموضوع ، لا سيما أن جوانب منه ما تـــزال بحاجة إلى مزيد بحث وفضل تحرير ؛ بدءاً من نشـــأة هـــذا الفن " الاقتباس " في ساحات البلغاء ، ووقوف البلاغيين عليه ، واكتشافهم إياه مصطلحاً قائماً بنفسه ، ممتازاً عن غيره ، ومنـــزلته من الألوان والفـــنون البديعـــية ، إلى بيان أنواعه وما يتصل به ، كإرسال المثل من القرآن والحديث ، ثم تحرير الكلام في حكم الاقتباس من القرآن والسنة ، إلى غير ذلك من المسائل والقضايا ذات الصلة بالموضوع .

وقد سار البحث في طريقين :

أحدهمـــا : جمع ما قاله العلماء في باب الاقتباس ، وتحرير ما يحتاج من كلامهـــم إلى تحريـــر ونقاش ، وعزو المذاهب والآراء إلى أهلها ، وبيان إفادة اللاحـــق مـــن السابق ، حسبما يقتضيه التسلسل التاريخي للقرون ، وتواريخ الوفيات .

الثاني : تتميم الجوانب الناقصة والمهملة التي أغفلها السابقون، أو لم يشبعوا فيها القول، وإبداء الرأي فيما أخالف فيه الآخرين ، إما بدليله أو بتعليله .

ولقـــد جرى تتبع مصطلح الاقتبـــاس في كتب البلاغيين المطبوعة ، وما تيســـــر لي من مخطوطها ، وبخاصة ما كان منها مشـــتملاً على رأي مهم أو قـــول ناضج وما كتب عن الاقتباس بخصوصه ، من مخطوط أو مطبوع ، كما تتـــبع البحـــث هذا المصطلح في كتب أخر؛ ككتب علوم القرآن وإعجازه ، وكتـــب الفقـــه والآداب الشرعية وفي شروح الحديث النبوي ، وإن كان ثم صـــعوبة فـــتكمن في أن الفقهـــاء لا يـــتحدثـــون عـــن الاقتـــباس في باب معـــين ، وتحت عنوان معروف ، بل يبحثونه بحسب المناسبة العارضة ، فتجد

بعضـــهم يتناول الاقتباس في مقدمة الكتاب ، وآخر يبحثه في باب الصـــلاة ، وثالـــثاً يعرض له في الاعتكاف ، ومنهم من يتناوله في كتاب الجهاد ، وهكذا، مما يستوجب قراءة واسعة في مصنفاتهم للظفر بكلامهم فيه .

وقد جاء هذا البحث مشتملاً على الفروع الآتية :

ـــ الاقتباس تعريف ومصطلح .

ـــ أضرب الاقتباس .

ـــ تاريخ الاقتباس .

ـــ الاقتباس وموقعه البلاغي .

ـــ أحكام الاقتباس .

ـــ إرسال المثل من القرآن والسنة .

ـــ الفرق بين إرسال المثل من القرآن والسنة وبين الاقتباس .

أسأل الله أن ينفع بهذا البحث قارئه وكاتبه ويمنحه القبول .

الاقتبـــاس ــ تعريف ومصطلح :

الاقتباس عند البلاغيين أحد الفنون البديعة ، وأول من وضع هذا المصطلح فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـــ) [١] . وكان معروفاً قبـــل الرازي باسم "التضمين" .

والاقتـــباس عندهم تضمين الكلام ــ نثراً كان أو شعراً ــ شيئاً من القرآن أو الحديـــث، من غير دلالة على أنه منهما ، أي بأن يكون خالياً من الإشعار بذلك ، والإشعار به كأن يقول : قال الله كذا، أو قال رسول الله ﷺ . ولهذا يحسن أن يُمهَّد للمقتبَس (بفتح الباء) بحيث يكون مندمجاً في الكلام اندماجاً تاماً حتى يصير من كلام المقتبِس نفسه .

والاقتـــباس حقيقته : أخذ القَبَس ــ بفتحتين ــ وهو الجذوة من الجمر ، يقـــال : قَبَس واقتبس . ومجيء فعلتُ وافتعلتُ بمعنى واحد معروف في اللغة ، ومنه قولهم : بنيتُ وابتنيتُ ، وحَقَرتُ واحتقرتُ .

ويطلق الاقتباس على استفادة العلم على سبيل الاستعارة .[٢]

ومناســـبة كلا المعنيين ــ الحقيقي والاستعاري ــ لصيغة الاقتباس ظاهرة ، لأن المتكـــلم يأخذ من القرآن أو الحديث في كلامه ما هو بمنـــزلة جذوة نار يستضيء به ويستفيد ذلك منهما .

وعلَّل بعضهم تسمية هذا الفن بالاقتباس تعليلاً لطيفاً فقال : " سمي الإتيان بالقرآن أو الحديث على الوجه المذكور اقتباساً أخذاً من اقتباس نور المصباح من نور القَبَس وهو الشهاب ، لأن القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية " . [٣]

---

(١) نهاية الإيجاز (٢٨٨) .

(٢) ينظر : الصحاح (٣ / ٩٦٠) أساس البلاغة (٢ / ٢٢٤) لسان العرب (٦ / ٣٥١١) (قبس) .

(٣) حاشية الإنبابي (٤ / ٤٧٦) .

والتعريف الاصطلاحي السابق للاقتباس صاغه الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) [١] من مجموع كلام السابقين له ، ورضيه جمهرة البلاغيين من بعده . [٢]

وأحسب أن ثمة نظراً في هذا التعريف ، ونظراً آخر في تسمية هذا الفن البلاغي بالاقتباس .

فأما النظر الأول في التعريف فإنه يُرى فيه شيء من التدافع ، إذ كيف يقال :" تضمين الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث " ثم يقال : " من غير دلالة على أنه منهما " فينفون أن يكون من القرآن أو الحديث حقيقة ؟ إنني أرى أنه لو صيغ التعريف هكذا :

" تضمين الكلام جملة ــ أو أكثر ــ توافق لفظ القرآن أو الحديث " لكان أولى ؛ من عدة أوجه :

الأول : أن هذا التعريف مختصر وواف ، كما هو المطلوب في التعريفات والحدود .

الثاني : أن في قولنا " تضمين الكلام جملة أو أكثر " تحديداً دقيقاً لما يصح إطلاق اسم الاقتباس عليه ، فخرج بذلك تضمين الكلمة ونحوها من القرآن والحديث ، فلا يسمى ذلك اقتباساً [٣].

---

(١) تلخيص المفتاح (٣٧٩) الإيضاح (٤ / ٥٠٩ شروح التلخيص)

(٢) ينظر : شروح التلخيص (٤ / ٥٠٩) المطول (٤٧١) شرح التلخيص للبابرتي (٦٩٩) الإتقان (١ / ٣١٤) حاشية البناني مع تقرير الإنبابي (٤ / ٤٧٣) فيض الفتاح للشنقيطي (٢ / ٣٢٩) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (١ / ٢٧٠) .

(٣) ينظر : شرح عقود الجمان للمرشدي (٢ /٢١٣) فيض الفتاح للشنقيطي (٢ / ٣٢٩) وينظر : ص (٣٧٧) من هذا البحث .

الثالـــث : أن في هـــذا التعريف حسماً للحرج الذي يجده بعض العلماء في الاقتباس ،فإنا إذا قلنا: " تضمين الكلام جملة أو أكثر توافق القرآن أو الحديث " عُلم مباشرة أنه ليس قرآناً ولا حديثاً .

وأما النظـــر الآخر فهو في اسم المصطلح نفســـه ؛ فإن البلاغيين إذا كانوا يقولون : إن المقتبَس أو المضمَّن ليس بقرآن ولا حديث ، فلم إذن يسمى هذا اقتباساً ؟ إن المدلول اللغوي للفظ الاقتباس يدور على معنى الأخذ والانتزاع ، وهذا يتنافى مع ما يردده البلاغيون من قطع النظر عن كون المضمَّن أو المقتبَس قـــرآناً أو حديـــثاً ،الـــلهم إلا أن يقـــال: إن ذلك اصطلاح ،ولا مشاحة في الاصطلاحات .

وكنتَ رأيت أن الذي وضع مصطلح " الاقتباس " في الساحة البلاغية فخر الديـــن الرازي ، وكان قد خصه بالقرآن ، أي جعل الاقتباس مقصوراً على ما يؤخـــذ من القرآن فحسب ، وتابعه على ذلك بعض البلاغيين [١]، وأصحاب البديعـــيات [٢]، كصـــفي الدين الحِلّـــي (ت٧٥٠ هـــ) [٣] وأبي بكر بن المقـــــرئ (ت ٨٣٧)[٤] وابن حِجة الحموي (ت ٨٣٧ هـــ) [٥] وابن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـــ)[٦] .

---

(١) ينظر : مفتاح المفتاح للشيرازي (ل ١٩٩ / أ ، ٢١٤ / أ) .

(٢) البديعـــيات : جمع بديعيّة ، وهي قصائد مطولة في مدح النبي ﷺ يتضمن كل بيت منها نوعاً من أنواع البديع . ينظر : البديعيات في الأدب العربي (٤٦) .

(٣) شرح الكافية البديعية (٣٢٦) .

(٤) شرح البديعية لابن المقرىء (ل ٥٤ / أ) .

(٥) خزانة الأدب (٢ / ٤٥٥ ، ٤٧٧) .

(٦) أنوار الربيع (٢ / ٢١٧) .

وزعم ابن حجة أن هذا هو الإجماع ، وليس ذلك بصحيح ؛ بل جلة البلاغيين على خلافه ، إلا أن يريد إجماع أصحاب البديعيات ، والله أعلم . قال محمد الإفراني (توفي بعد ١١٥٥ هـ) : " والذي عليه المحققون جريان الاقتباس في الحديث " [١].

ورأى عصام الدين الأسفراييني (ت ٩٤٥ هـ) أنه " ينبغي أن يلحق بالاقتباس تضمين الكلام شيئاً من كلام عظماء الدين ، لا سيما الصحابة الكرام والتابعين العظام ومن ينخرط في سلك هذا النظام " [٢]، وتابعه المرشدي (ت ١٠٣٧ هـ) وزاد عليه أن الاقتباس يكون أيضاً بتضمين الكلام شيئاً من الفقه أو الأثر أو الحكمة . [٣]

وكان الطِّيبي (ت ٧٤٣ هـ) من قبل قد رأى أن الاقتباس يكون في الفقه أي من مسائل الفقه واصطلاحاته [٤] . واعترضه ابن مالك الرُّعيني (ت ٧٧٩ هـ) بأنه لا معنى لتخصيصه بالفقه ، فإنا إذا قلنا بذلك اتسع الباب وجرى الاقتباس في العلوم الأخرى، كالنحو والعروض والأصول والحساب وغيرها ، بل يدخل فيه أيضاً الاقتباس من الأشعار والحِكم والأمثال [٥]، ثم قال الرُّعيني بعد ذلك : " الظاهر من كلامهم أن الاقتباس مقصور على القرآن والحديث " [٦]

---

(١) المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل (٤١٣) .

(٢) الأطول (٢ / ٢٥٠) .

(٣) شرح عقود الجمان (٢ / ٢١١) .

(٤) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٤١٦) .

(٥) طراز الحلة وشفاء الغلة (٢٦٨) .

(٦) السابق (٢٨٠) .

قلت : وهذا هو الصحيح ، وهو ما استقر عليه البحث البلاغي المنهجي ، منذ الخطيب القزويني حتى يوم الناس هذا ، وتعارف عليه أكثر العلماء والمصنفين والكاتبين في مصطلحات العلوم [١] .

وغالب علماء البلاغة وغيرهم من أهل علوم القرآن وشراح الحديث وكثير من الفقهاء يسمون هذا الفن البلاغي " الاقتباس " تبعاً للرازي [٢] .

وثمة جماعة يسمونه (التضمين) ، منهم ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) [٣] والطوفي الحنبلي (ت ٧١٦ هـ) [٤] وابن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧ هـ) [٥] ودعاه ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) (حسن التضمين) [٦] ، واتبعه على ذلك شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥ هـ) [٧] ، وأطلق عليه ابن النقيب (ت ٦٩٨ هـ) الاسمين معاً، فقال في مطلع حديثه عنه : " الاقتباس ويسمى التضمين " [٨] .

---

(١) ينظر : شروح التلخيص (٤/٥٠٩) المطول (٤٧٤) شرح التلخيص للبابرتي (٦٩٩) خلاصة المعاني للمفتي (٤٧٩) حاشية البناني مع تقرير الإنبابي (٤ / ٤٧٣) نهاية الأرب (٧ /١٨٢) التعريفات للجرجاني (٢٧) الإتقان (١ / ٣١٤) الكليات للكفوي (١٥٦) كشاف اصطلاحات الفنون (٣ / ١١٨٧) الموسوعة الفقهية (٦ / ١٧) .

(٢) سيأتي العزو إلى كتب هؤلاء .

(٣) المثل السائر (٣ / ٢٠٠) .

(٤) الإكسير (٢٨٧) .

(٥) جوهر الكنز (٢٦٢) .

(٦) تحرير التحبير (١٤٠) .

(٧) حسن التوسل (٢٣٨) .

(٨) مقدمة تفسير النقيب (٢٤٠) .

والذي مضى عليه البحث البلاغي أن التضمين غير الاقتباس ، فالتضمين هو أن يُضمَّن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه ، كما في قول الحريري (ت ٥١٦هـ) :

على أني سأنشدُ عند بَيْعي (أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا) [١]

فالمصراع الثاني صدر بيت للعَرْجي ، وعجزه :(ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ) [٢] .

إن الذي ابتدع مصطلح (التضمين) هو ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، ولم يقصد به سوى هذا المعنى ، كما يدل على ذلك شواهده التي أوردها . [٣]

يقول القزويني : " الاقتباس أن يضمَّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه " [٤] " ، والتضمين أن يضمَّن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء " [٥] .

فهذا فرق ما بين الاقتباس والتضمين ، فالأول يخص القرآن والحديث على أن لا يُدمَج قوله تعالى أو كلامه صلى الله عليه وسلم بكلام الآخرين ، والثاني يخص الشعر [٦] .

على أن أولئك الذين سموا الاقتباس تضميناً قد تناولوا التضمين في المبحث نفسه بمفهومه هذا ، فيكونون بذلك قد مزجوا بين المبحثين وخلطوا بين المصطلحين ، وهما شيئان متغايران [٧] .

---

(١) مقامات الحريري (٤١٢) (المقامات الزبيدية ذات الرقم ٣٤) .

(٢) ديوان العرجي (٢٤٦) .

(٣) البديع (٦٤) .

(٤) التلخيص (٣٧٩) الإيضاح (٤ / ٥٠٩) .

(٥) التلخيص (٣٨١) الإيضاح (٤ / ٥١٤) .

(٦) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (٢ / ٢٦٤) .

(٧) ينظر : المثل السائر (٣ /٢٠٤) تحرير التحبير (١٤١) الإكسير للطوفي (٢٨٧) مقدمة تفسير ابن النقيب (٢٤٢) حسن التوسل (٢٣٨) جوهر الكنز (٢٦٢) .

ومن الفقهاء من توسع في مفهوم الاقتباس ، فأدخل فيه العَقْد وجعله منه ، فتجده يسوق شواهد للعَقْد ويسميها اقتباساً، ومن هؤلاء تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) [١]، وبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) [٢]

وهذا خلاف ما عليه البلاغيون ، ثم إن بين العقد والاقتباس فرقاً ظاهراً ، ومن آثار هذا الفرق ما يتجلّى عند الحديث في الحكم الشرعي للاقتباس على ما سيأتي .

والفرق بينهما أن العَقْد يكون فيه التصريح بالقول لما يراد تضمينه ، فإنه ـ أي العَقْد ـ نظم كلام منثور من القرآن أو السنة أو غيرهما على الحكاية؛ فيقال : قال الله كذا ، أو قال الرسول ﷺ كذا ، خلافاً للاقتباس فلا تصريح فيه بالقول . [٣]

وحكى ابن حجة الحموي قولاً غريباً نسبه إلى العلماء ، وهو أنهم جعلوا الاقتباس على نوعين ؛ فما قام به الناثرون من الخطباء والمنشئين يسمى الاقتباس وما يصنعه الشعراء في أشعارهم يسمى التضمين . وقد صدَّر ابن حجة كلامه بقوله : " فائدة يتعين ذكرها في هذا الباب ؛ وهي أن العلماء في هذا الباب

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٥ / ١٣٩) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١ / ٤٨٣) .

(٣) ينظر : التلخيص وشروحه (٤ / ٥٢١) أنوار الربيع (٦ / ٣٠٥) ومثال العَقْد قول الشافعي :

أنلني بالذي استقرضت خطاً ... وأَشْهِدْ معشرا قد شاهدوه

فإن الله خلاّقَ البرايا ... عَنَتْ لجلال هيبته الوجوه

يقول : إذا تداينتمْ بدين ... إلى أجل مسمى فاكتبوه

البرهان في علوم القرآن (١ / ٤٨٢) وأشار الزركشي إلى أن هذا الشعر مما ثبت عن الشافعي ، قلت : وهذه الأبيات مما فات جامع ديوانه إميل بديع يعقوب .

قـــالوا : إن الشاعر لا يقتبس بل يَعْقد ويُضمن ، أما الناثر فهو الذي يقتبس ، كالمنشئ والخطيب " (١) .

ولم نعرف مَنْ هولاء العلماء الذين أشار إليهم ، وهذا القول من ابن حجة الحمـــوي يشبه في غرابته قوله الآنف ؛ إن الإجماع منعقد على أن الاقتباس لا يكون إلا من القرآن .

ويرى الســـيوطي أن الصدر الأول من الصحابة ﷺ والتابعين فمن بعدهم من الأئمة والعلماء يسمون الاقتباس ضرب مثل وتمثلاً واستشهاداً إذا كان في النثر ، وكأن السيوطي لا يرى بأساً بهذه التسمية الآن ، إلا أنه عاد فأضاف قائلا : " وقد يسمى اقتباساً بحسب اختلاف المورد ، فإذا كان في الشعر سمي اقتباسا لا غير " (٢)

أضـــرب الاقتبـــاس :

علمتَ أن الذي عليه البلاغيون في تعريف الاقتباس أنه تضمين الكلام شيئاً مـــن القرآن أو الحديث ، لا على أنه منه . وحينئذ فالمقابلة العقلية تقتضي أن يكون للاقتباس أربع صور :

١ ـــ اقتباس من القرآن في النثر .

٢ ـــ اقتباس من القرآن في الشعر .

٣ ـــ اقتباس من الحديث في النثر .

٤ ـــ اقتباس من الحديث في الشعر .

---

(١) خزانة الأدب (٢ / ٤٥٩) وينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (٢ / ٢٧٢) .

(٢) رفع الباس (١ / ٢٥٩) .

ومـــن أمثلة الاقتبـــاس من القرآن في النثر قول الخطيب عبد الرحيـــم بن نُبـــاتة (ت ٣٧٤ هـــ) في بعض خطبه : " فيا أيها الغَفَلة المطرقون ، أما أنتم بهـــذا الحديث مصدقون ، ما لكم منه لا تشفقون ، فورب السماء والأرض إنه لحـــق مـــثل مـــا أنكم تنطقون " (١) اقتبس قولـــه تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريـــات: ٢٣] ومـــنه قـــول الحريـــري : " فلم يكن إلا كلمح البصر أو هـــو أقرب ، حتى أنشد فأغرب " (٢) فالاقتباس هنا من قوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل: ٧٧] .

ومـــن شـــواهد الاقتباس من القرآن في الشعر قول أبي القاسم بن الحسين الكاتبي :

إن كنتَ أزمعتَ على هجرنا ... من غير ما جرمٍ فصبرٌ جميلْ
وإن تبـــدَّلتَ بنـــا غيـــرَنـــا ... فحســـبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلْ (٣)

فالشـــاعر هنا مقتبس من آيتين ، هما قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾ [يوســـف: ١٨] وقوله عـــز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

---

(١) ديوان خطب ابن نباتة (٣٣٤) .

(٢) مقامات الحريري (٢٣) (المقامة الحلوانية ذات الرقم ٢) .

(٣) الإيضـــاح (٤ / ٥١١) معـــاهد التنصيص (٤ / ١٠٩) شرح عقود الجمان للمرشدي (٢ / ٢١١) .

ومن الاقتباس من الحديث النبوي في النثر قول الحريري :" شاهتِ الوجوه ، وقَبُحَ اللُّكَعُ ومن يرجوه " (١) اقتبس من كلامه ﷺ حين لقي الكفار يوم حنين وأخذ كفًّا من حصباء فرماه في وجوههم وقال : " شاهت الوجوه " (٢) .

ومن الاقتباس الجيد المعبِّر في هذا الضرب قول الإمام ابن القيم (ت٧٥١ هـ) ـ رحمه الله ـ : " من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت ، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر ، فإنه يُحتمل له ما لا يُحتمل لغيره ، ويُعفى عنه ما لا يُعفى عن غيره ، فإن المعصية خَبَث ، والماء إذا بلغ قُلَّتين لم يحمل الخبث " (٣)

اقتبس من قوله ﷺ : " إذا بلغ الماء قُلَّتين لم يحمل الخبث " (٤) ومراد ابن القيم من هذا الاقتباس أن من بلغ القدر الكافي من الثقة والعدالة ، وكانت له جهود محمودة في الدين ، فلا يضره نقد الناقدين ولا قدح القادحين (٥).

ومن اقتباس الحديث في الشعر قول ابن مالك الرُّعَيني :

لا تعادِ الناسَ في أوطانهم ... قَلَّما يُرعى غريبُ الوَطَنِ

وإذا ما شئتَ عيشاً بينهم ... خالق الناس بخُلْقٍ حَسَنِ (٦)

اقتبس الجملة الأخيرةمن قوله ﷺ لأبي ذر : " اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن " (٧) .

---

(١) مقامات الحريري (٤٦٦) (المقامة العمانية ذات الرقم ٣٩) .

(٢) رواه مسلم (٣ / ١٤٠٢) (رقم ١٧٧٧) من حديث سلمة بن الأكوع .

(٣) مفتاح دار السعادة (١ / ٥٢٩) .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (١٢/٢) وأبو داود (٥٢/١) (رقم ٦٥) والترمذي (٩٧/١) (رقم ٦٧) والنسائي (١ /٤٦) (رقم٥٢) وابن ماجه (١ / ١٧٢) (رقم ٥١٨) عن عبد الله بن عمر ، وهو حديث صحيح .

(٥) مفتاح دار السعادة (١ / ٥٢٩) (تعليق) .

(٦) طراز الحلة (٢٧٨) .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٥ / ١٥٣) والترمذي في الجامع (٤ / ٣٥٥) (رقم ١٩٨٧) عن أبي ذر ، وهو حديث حسن ، وقال أبو عيسى الترمذي : " حديث حسن صحيح " .

ومما يلحظ بنظرة عامة في الشواهد السابقة جميعها أن الاقتباس من القرآن والحديث جاء مركباً ــ أي في أكثر من لفظ ــ لا مفرداً ، وهذا شرط لتحقق الاقتباس [١]. ونحا قطب الدين الشيرازي (ت ٧١٠ هـ) [٢] وابن المقرئ (ت ٨٣٧ هـ) [٣] إلى أن الاقتباس من القرآن يكون حتى في الكلمة المفردة ، وليس ذلك بصحيح ؛ لأن المفردات القرآنية في حال إفرادها ليست إلا كلمات معجمية من معهود كلام العرب [٤] ، ولو أخذنا برأي الشيرازي وابن المقرئ لصار كثير من كلام الناس اقتباساً . [٥]

وقد قسم البلاغيون الاقتباس ــ من حيث نقل المقتبَس عن معناه الأصلي وعدم نقله ــ إلى قسمين :

الأول : ما لم يُنقل فيه المقتبَس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر ، والشواهد المتقدمة كلها داخلة تحت هذا القسم .

الثاني : ما نُقل فيه المقتبَس عن معناه الأصلي، ومن ذلك ما جاء في قول ابن الرومي :

لئن أخطأتُ في مدحيك (م) ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي بوادٍ غير ذي زَرْعِ [٦]

فقوله : (بواد غير ذي زرع) مقتبس من قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

---

(١) شرح عقود الجمان للمرشدي (٢ / ٢١٣) خلاصة المعاني للمفتي (٤٧٩) فيض الفتاح (٢ / ٣٢٩) .
(٢) مفتاح المفتاح (ل ٢١٤ / أ) .
(٣) شرح البديعية (ل ٥٤ / أ) .
(٤) ينظر : الرسالة للشافعي (٥١) الموافقات للشاطبي (١ / ١٠٣) .
(٥) ينظر : شرح عقو د الجمان للمرشدي (٢ / ٢١٣) .
(٦) ديوان ابن الرومي (٤ / ١٥٥٣) .

ومعناه في القرآن على ظاهره ، وهو واد لا ماء فيه ولا نبات ولا شجر ، وهو شِعْب مكة [1]، وقد نقله الشاعر إلى جناب لا خير فيه ولا نفع ، على وجه التجوز ، ومعنى البيتين : إني إن غلطت في مدحك بأن مدحتك مع أنك لست أهلاً فقد اتفق مع غلطي أنك ما غلطت في منعي مما طلبت منك، لأن المنع والبخل وصفك، وما جاء من الفعل على وفق وصف صاحبه لا يعد صاحب ذلك الفعل غالطاً فيه ، فإنك بمنزلة واد لا زرع فيه ، فأنت جناب لا خير فيه ، فالمنع منك ليس ببدع ولا خطأ ، وإنما الخطأ من الطالب في مثلك [2].

ثم إن التغيير اليسير في اللفظ المقتبَس لا يخرجه عن كونه اقتباساً ، كما ترى في قول عمر الخيام :

سبقتُ العالمين إلى المعالي ... بصائبِ فكرةٍ وعلو همهْ
ولاحَ بحكمتي نورُ الهدى في ... ليالٍ للضلالةِ مدلهمهْ
يريدُ الجاهلون ليطفئوه ... ويأبى الله إلا أن يتمهْ [3]

فإن الآية المقتبَس منها هي قوله عز وجل: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [التوبة:٣٢] والاختلاف ظاهر وهو يسير ، ومن ذلك أيضاً قول القاضي منصور الهروي الأزدي :

فلو كانت الأخلاق تُحوى وراثةً ... ولو كانت الآراء لا تَتَشعَّبُ
لأصبح كلُّ الناس قد ضمّهم هوى ... كما أن كل الناس قد ضمهم أبُ

---

(١) ينظر : جامع البيان لابن جرير (١٣ / ٢٣٢) .

(٢) مواهب الفتاح (٤ / ٥١٣) وينظر : الإيضاح ، مختصر السعد (٤ /٥١٢ ــ شروح التلخيص ــ) .

(٣) الإيضاح (٤/ ٥١٤) .

ولكنَّهـــا الأقـــدارُ كـــلٌّ مُيَسَّـــرٌ لما هـــو مخلوقٌ لـــه ومُقَرَّبُ [1]

اقتبس الشـــاعر من لفظ الحديث : "اعملوا فكلٌّ ميسَّـــرٌ لما خلق له " [2] لكنه غيَّر إلى ما ترى .

ومهما يكن ؛ فإن هذا التغيير لا بـــأس به من الناحية الفنية ، ولا يـــخرجه عن كونه اقتباسًا ، بل قد يلجأ إليه الكاتب والشاعر لاستقامة القرائن في النثر، أو لإقامة الوزن في الشعر ، كما جاء في قول أبي تمام يرثي ولده أبا علي :

كان الذي خِفْتُ أن يكونا إنَّـــا إلـــى الله راجعونـــا [3]

فأبـــو تمـــام يقتبس من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٦] وقـــد زاد الشـــاعر الألف فـــي (راجعـــون) على جهـــة الإشباع ، وأتى بالظاهر مكان المضمر في قـــوله : (إنا إلى الله) وذلك مما لا بأس به .

وأما إذا كان التغيير كثيراً بحيث يبدو أنه شيء آخر لا يشبه القرآن الحديث في الجملـــة فـــلا يســـمى اقتباساً، كما لو قيل في (شاهت الوجوه) : قبحت الوجـــوه، أو تغـــيرت الوجوه، أو نحو ذلك [4]. وهكذا لو جاء بمعناهما دون لفظهما ـــ أي القرآن والحديث ـــ فإن ذلك لا يكون اقتباساً [5] .

وكما أنه لا بأس بالتغيير اليسير في الاقتباس من القرآن والحديث من الناحية الفنـــية ،فإنه لا بأس به من الجهة الشرعية عند جمهور العلماء ، وإن تحرج منه

---

(١) الإيضاح (٤ / ٥١٤) .

(٢) رواه البخاري في الصحيح (١٨٩١/٤) (رقم ٤٦٦٦) ومسلم (٤ /٢٠٤٠) (رقم ٢٦٤٧) عن علي بن أبي طالب ﷺ .

(٣) ديوان أبي تمام (٤ / ٦٧٧) ويقال: إنه ليس لأبي تمام ، ينظر : هامش الديوان ، أنوار الربيع (٢ / ٢٢١) .

(٤) مواهب الفتاح (٤ / ٥١٣) .

(٥) طراز الحلة (٢٦٨) .

بعض المتقدمين [١]، لا سيما في نصوص القرآن ، لما علمتَ في تعريف الاقتباس من أنه : " تضمين الكلام شيئاً من القرآن والحديث لا على أنه منه " فالمُضَمَّن ليس هو نفس القرآن والحديث ، وإنما هو شيء آخر يشبههما ، كما يقول الدسوقي [٢]، أو يماثلهما،كما قال ابن معصوم [٣]، أو يوافقهما في ظاهر العبارة فقط ، كما يقول داود الشاذلي (ت ٧٣٢ هـ) [٤]، فخرج عن كونه قرآناً أو حديثاً حقيقة .

وبذلك يظهر الفرق بين الاقتباس وبين الاستشهاد والاستدلال بالقرآن والحديث ، فالمستشهد والمستدل يقول : قال الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ ، ونحو ذلك ، بل لو لم يأت بهاتين العبارتين وأمثالهما فإن السياق دال على أن ثمة استشهاداً واستدلالاً .

قال ابن مالك الرُّعيني في تعريف الاقتباس : " أن يأتي المتكلم في كلامه المنظوم والمنثور بشيء من ألفاظ القرآن أو الحديث ، مع قطع النظر عن كونه لفظ المقتبَس منه . فقولنا (مع قطع النظر عن كونه لفظ المقتبَس منه) فصلٌ يخرج العَقْد والتضمين على ما يأتي ، ويخلص من الدرك في تغيير ألفاظ القرآن أو الحديث " [٥].

---

(١) ينظر : مقدمة تفسير ابن النقيب (٢٤٥) عروس الأفراح (٤ / ٥١٤) .

(٢) حاشية الدسوقي (٤ / ٥١٠) .

(٣) أنوار الربيع (٢ / ٢١٦) .

(٤) رفع الباس (١ / ٢٨٤) .

(٥) طراز الحلة (٢٦٨) .

وقال الرعيني أيضاً في موضع آخر : " ... ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم في الاقتباس عن كونه نفس المقتبَس، ولولا ذاك للزمهم الكفر، للزيادة في لفظ القرآن أو النقص منه " (١).

وقال ابن عرفة الدسوقي : " قوله : (شيئاً من القرآن أو الحديث ، إلخ) أي كلاماً يشبه القرآن أو الحديث ، فليس المضمَّن نفس القرآن أو الحديث ، لما سيأتي أنه يجوز في اللفظ المقتبَس تغيير بعضه ، ويجوز نقله عن معناه الوارد فيه ، فلو كان المضمَّن هو القرآن حقيقة كان نقله عن معناه كفراً ، وكذلك تغييره ". (٢)

وقال ابن معصوم المدني : " الصحيح أن المقتبس ليس بقرآن حقيقة ، بل كلام يماثله ، بدليل جواز النقل عن معناه الأصلي وتغيير يسير كما سيأتي، وذلك في القرآن كفر" (٣).

وقال البابرتي (ت ٧٨٦ هـ) : " الاقتباس : أن تضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه ، وقيّد بهذا لأنه في حال كونه منه لا يجوز التصرف في شيء من ذلك ، حذراً من الدخول في زمرة من قيل فيهم : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣] " (٤).

وسيأتي مزيد بحث في هذا حين القول في حكم الاقتباس إن شاء الله .

---

(١) السابق (٢٦٩) .

(٢) حاشية الدسوقي (٤ / ٥١٠) .

(٣) أنوار الربيع (٢ / ٢١٩) .

(٤) شرح التلخيص (٦٩٩) .

تاريـــخ الاقتبـــاس :

إذا ذهبـــنا نبحـــث في تاريخ الاقتباس، ونستجلي أصل حدوثه، ونفحص جذوره ، فإننا نجده قديم النشأة ، معروفاً في ساحة البلغاء ، بل إن له أصلاً في الشرع المطهر ، فهذا رسول الله ﷺ يقول يوم خيبر : " الله أكبر ، خربت خيبر إنـــا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " (١) فهذا اقتباس من قوله عز اسمه :﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الـــصـــافـــات: ١٧٧] قـــال السيوطي عند هذا الحديث : " إنه من أدلة جواز الاقتباس من القرآن ، وهي كثيرة لا تحصى " (٢)

وكان النبي ﷺ إذا خطب أصحابه يوم الجمعة ضمَّن خطبته شـــيئاً من آي الذكر الحكيم ، روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سَمُرة ﷺ قال : " كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس " (٣).

وإذا كـــان الشـــافعية (٤) والحنابلة (٥) يوجبون قراءة ولو آية في الخطبة ، وجمهور الفقهاء يستحبون ذلك ويرونه سنة (٦)، فإن في جماعة البلغاء الأقدمين وأربـــاب البيان من يمقتون الخطبة الخالية من القرآن، وينـــزلون بها درجات، مهمـــا بلغـــت رتبتها من الفصاحة، بل كانوا يسمونها " الشـــوهاء " لقبحها

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٤٥) (رقم ٣٦٤) ومسلم (٣ / ١٤٢٦) (رقم ١٣٦٥) .

(٢) شرح سنن النسائي (٦ / ١٣٢) .

(٣) صحيح مسلم (٢ / ٥٨٩) (رقم ٨٦٢) .

(٤) الأم للشافعي (١ / ٣٤٥) .

(٥) الإنصاف للمرداوي (٢ / ٣٨٨) .

(٦) نيل الأوطار (٤ / ١٣٨) .

عـــندهم ، كمـــا لقّـــبـــوا الخطبة التي لم تبـــدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد " البتـــراء " (١) .

روى الجـــاحظ عن عمران بن حطان (ت ٨٤ هـــ) أحد رؤوس الخوارج وخطـــبائهم، قـــــال : " خطبت عند زياد خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية، ولم أَدَعْ لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن " (٢) .

إن كلام الله عز وجل القرآن هو أفضل الكلام وأجل الذكر ، فيه الآيات البينات ، والدلائل الواضحات ، والأخبار الصادقة ، والمواعظ الرائقة ، بعبارات تأخذ بالألباب ، وأساليب لا قبل لأحد على الإتيان بمثلها مهما أوتي من البيان فهو الكتاب الذي أعجز فحول البلغاء ، وأفحم مصاقع الخطباء أن يأتوا بمثله ، ولقد ســـجَّل الله عجز الثقلين عن محاكاته ، فقال ســـبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] قال أبو بكر الباقلاني : " وهو ــ أي القرآن ــ بديع النظم عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه " (٣) وقال ابن أبي الإصبع : " وإذا انتهيت إلى بلاغة الكتاب العزيز انتهيت إلى نهاية البلاغة " (٤) .

---

(١) البيان والتبيين (٢ / ٦) .

(٢) السابق : الموضع نفسه .

(٣) إعجاز القرآن (٨٦) .

(٤) تحرير التحبير (٣٢٩) .

إن القرآن العظيم به تستدعى الأسماع ، وتُستمال القلوب، وما ذاك إلا لسمو معانيه ، وجلال ألفاظه، وجميل تأثيره، وما له لا يكون كذلك، وإنه لتنزيل رب العالمين ؟ وحسب النفوس المؤمنة أن يبلغها شيء من القرآن فتنقاد حينئذ لما يُلقى إليها . " ولقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة " (١) ولذا أقبل البلغاء وأهل الفصاحة على كتاب الله عز وجل يقتبسون من آياته البينات ويضمنونها كلامهم ، ليخلعوا عليه لبوساً من الهيبة والجلال ، ويصبغوه بصبغة الحكمة والبهاء والجمال ، ويكون له تأثيره المطلوب في الأسماع والقلوب ، وكل منهم يريد أن يكون هذا الاقتباس " توشيحاً لكلامه وتزييناً لنظامه " كما يقول الشيرازي. (٢)

ولقد كان في مقدم المقتبسين من القرآن إمام الفصحاء محمد ﷺ ، فجاء الاقتباس في غير ما حديث عنه عليه الصلاة والسلام ، ورأيتَ مثالاً من ذلك قريباً . ثم تتابع الناس من بعده ﷺ يقتبسون من كلام الله تعالى ، فوقع الاقتباس في كلام أكابر الأصحاب كالخلفاء الراشدين وغيرهم من علماء الصحابة ﷺ أجمعين .

فمن ذلك ما ثبت عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه كتب في وصيته : " بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب ، إني استخلفت عليكم عمر

---

(١) حسن التوسل (٧٦) .

(٢) مفتاح المفتاح (ل ٢١٤ / أ) .

ابن الخطاب ، فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه ، وإن يَجُرْ ويبدل فلا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " (١) .

وصح عن عثمان بن عفان ﷺ ما أخرجه ابن أبي شيبة وغيره عن أبي ليلى الكندي قال : " رأيت عثمان اطلع إلى الناس وهو محصور فقال : " أيها الناس لا تقتلوني واستعتبوا ، فوالله لئن قتلتموني لا تصلون جميعاً أبداً ، ولا تجاهدون عدواً أبداً ، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا ـــ وشبّك بين أصابعه ـــ ، يا قوم : لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، وما قوم لوط منكم ببعيد " (٢).

وروى ابن أبي شيبة في المصنف في كتاب الفتن عن المسيب بن نَجْـبَة (٣) عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : " من أدرك ذلك الزمان فلا يطعن برمح ولا يضرب بسيف ولا يرم بحجر ، واصبروا فإن العاقبة للمتقين " (٤).

ومـــن الصحابة من جرى الاقتباس على لسانه غير مرة ،كابن مسعود ﷺ وكـــان مـــن جلة الصحابة وعلمائهم بالتنزيل ، ففي صحيح البخاري أن أبا موسى الأشعري ﷺ سئل عن تركة آلت لابنة وابنة ابن وأخت ، فقال : للابنة النصـــف وللأخت النصف ، وائت ابن مسعود فسيتابعني ، فسئل ابن مسعود

---

(١) جاء الخبر من طـــرق كثيرة يقوي بعضها بعضا ، فقد رواه ابن ســـعد في الطبقات (٣ / ١٩٩) وابن أبـــي حاتم في التفســـير (٩/ ٢٨٣٦) وابن زبر الربعي في وصايا العلماء (٣٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ١٤٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠ / ٤١٠ ، ٤١٥ ، ٤٤/ ٢٥١ ، ٢٥٢) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤ / ٥٩٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣ / ٧١) وإسناده صحيح .

(٣) جاء في المصنف : بجينة ، وهو تصحيف .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٥٥) وإسناده حسن .

وأخبر بقول أبي موسى الأشعري فقال : لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ ؛ للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين ومـــا بقـــي فللأخت ، واتوا أبا موسى فأخبروه بقول ابن مسعود ، فقال : لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم .(١)

وحدث أن اقتبس ابن مسعود ذات يوم فاعترضه أحد الجالسين إليه ظاناً أنه غلط أو نسي، فقد روى ابن سعد وأبو نعيم عن فروة بن نوفل الأشجعي قال : قال ابن مسعود : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتـــاً لله حنيفـــاً ولم يك من المشـــركين ، فقلت : غلـــط أبو عبد الرحمن ، إنما قـــال الله : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠] فأعادها علي فقال : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين ، فعرفت أنه تعمد الأمر تعمّداً فسكتُ، فقال : أتدري ما الأمة وما القانت؟ فقلت : الله أعلم، فقال : الأمة الذي يعلم الناس الخير، والقانت المطيع لله ورســـوله ﷺ ، وكذلك كان معاذ ، كان يعلم الناس الخـــير، وكان مطيعاً لله ورسوله ﷺ (٢).

فهذا الرجل لم ينتبه إلى أن ابن مسعود قصد إلى الاقتباس من القرآن فحسبه مخطئاً، فشرع الرجل يتلو الآية ليذكرها ابن مسعود بزعمه ، فأعاد له ابن مسعود الكلام ليعرفه ما قصد إليه من الاقتباس ، ثم شرح له القول بتفسيره وتعليله .

---

(١) صحيح البخاري (٦ / ٢٤٧٧) (رقم ٦٣٥٥) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢ / ٣٤٩) حلية الأولياء (١ / ٢٣٠) والخبر صحيح بمجموع طرقه .

وفي رواية أخرى عند ابن سعد أيضاً عن مسروق أن ابن مسعود حين قال ما قال في معاذ، بادر فـــروة بن نوفل قائلاً : نسي أبو عبد الرحمن ، إبراهيم تعـــني ؟ فقال ابن مسعود : وهل سمعتني ذكرت إبراهيم ؟ إنا كنا نشبه معاذاً بإبراهيم أو كان يشبه به[1] .

وكمـــا عُرف الاقتباس في عصر الصحابة رضـــوان الله عليهم فقد عُرف أيضاً عنـــد التابعين ـــ الذين يلون الصحابة في الفضل وأخذوا عنهم العلم ـــ واستعملوه في كلامهم، فقد روى ابن أبي شيبة وغيره أن الربيع بن خثيم كان إذا مـــر بالمجلس يقول : قولوا خيراً ، وافعلوا خيراً ، ودوموا على صالحة ، ولا تقسُ قلوبكم، ولا يتطاول عليكم الأمد ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون [2].

ومن اقتباسات التابعين ما جاء عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله من أنه كان إذا دخـــل بيتاً قال : بسم الله والحمد لله ولا قوة إلا بالله، والســـلام على نبي الله ، اللهم افتـــح لي أبواب رحمتك ، وأدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب [3].

وروى ابـــن سعد وأبو نعيم بإسناديهما عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه فقال له : من توصي بأهلك ؟

---

(١) الطبقات الكبرى (٢ / ٣٤٩) .

(٢) رواه ابـــن المـــبارك في الـــزهد (٥٤٤) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣ / ٣٩٣) وابن سعد في الطبقات (٦ / ١٨٣ ، ١٨٧) وإسناده صحيح .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨ / ٤٥٦) وإسناده قوي .

فقال : إذا نسيت الله فذكرني ، ثم عاد أيضاً فقال : من توصي بأهلك ؟ فقال : إن ولـــيّي فيهم الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين .(١)

ومثلما اقتبس الصحابة والتابعون من القرآن فقد اقتبس مَنْ بعدهم مِنَ الأئمة المتبوعين وعلماء الأمة المشهورين ، فاقتبسوا في كلامهم ومحاوراتهم ورسائلهم ومصنفاتهم .

وممن أثر الاقتباس عنه الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة ، فقد جاء في ترجمته أن مَخْلَد بن خِداش قال : سألت مالكاً عن الشطرنج فقال : أحق هو ؟ فقلت : لا ، قال : فماذا بعد الحق إلا الضلال .(٢)

وكانوا يقتبسون من القرآن في خطب الكتب والمصنفات ، كما افتتح الإمام الشـــافعي كـــتابه "الرسالة" بقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعـــام: ١] (٣) ولم يصـــدرهـــا بقوله : قـــال الله تعالى ونحو ذلك ، كما هي عادته في سائر الكتاب .

ومن هذا ما افتتح به شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـــ) "العقيدة الواسطية" حيث قال : " الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً " (٤) ، ومن ذلك ما جاء في مفتتح كتاب "حادي الأرواح" للإمام ابن القيم (ت ٧٥١ هـــ) : " الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً ، وجاعل الرسل مبشـــرين ومنذرين،

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٥ / ٤٠٥) وإسناده لا بأس به .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٠٨) .

(٣) الرسالة (٧) .

(٤) العقيدة الواسطية (٦) .

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل" [1]، وقال ابن القيم في مستهل كتابه " تحفة المودود" : "الحمد لله العلي العظيم، الحكيم الكريم ، الغفور الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، خلق الإنسان من سلالة من طين ـــ إلى أن قال : ـــ فسبحان من شملت قدرته كل مقدور ، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور ، وتفرد بملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور " [2] إلى غير ذلك مما جاء في كتبهم من الاقتباسات القرآنية الدالة على مقصودهم .

وأما الكتاب من الأدباء وأهل الخطابة والشعراء فلهم في الاقتباس القرآني سبح طويل ، على ما يرى من آثارهم في المصادر الأدبية والبلاغية وتواريخ الأدب والتراجم ودواوين الشعر ، وقد ذهبوا فيه مذاهب شتى من الإبداع والتفنن ، وصار الاقتباس القرآني لديهم فناً جميلاً وأسلوباً عالياً وعادة متبعة ، حتى إنه صنفت كتب مفردة في اقتباساتهم ، ككتاب الثعالبي " الاقتباس من القرآن " الذي سبق ذكره والإشارة إليه .

وعجيب أن فكرة الاقتباس من القرآن امتدت لتبلغ أ سماء المصنفات ، فتجد بعض العلماء يقتبس في تسمية مؤلَّفه، كما فعل أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني (ت ٤٨٨ هـ) حين دعا تفسيره الضخم " حدائق ذات بهجة " [3] ، ومن هؤلاء أيضاً محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)

---

(١) حادي الأرواح (٢١) .

(٢) تحفة المودود (٢٩) .

(٣) كشف الظنون (١ / ٦٣٤) .

فإنه سمى أحد كتبه " أليس الصبح بقريب" [١] ، وهو اسم له دلالته على مضمونه .

وكما حرصوا على الاقتباس من القرآن فقد ولّوا وجوههم شطر الحديث النبوي الذي هو مكمل للقرآن ، وشارح له ، ودال عليه ، والحديث هو كلام النبي ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام أفصح الناس لساناً وأعلاهم بياناً وأكملهم حكمة، وقد أخبر عن نفسه ﷺ أنه أوتي جوامع الكلم من بين سائر الأنبياء [٢].

لقد كان كلامه ﷺ مضرب المثل ومحل الإعجاب من كل من اطلع عليه ، قال يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) : " ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ " [٣] ، وللجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) عرض بديع لخصائص حديث الرسول ﷺ وسماته ، قال في آخره : "لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنىً ولا أبين في فحوىً من كلامه ﷺ " [٤].وقال يحيى بن حمزة العلوي(ت ٧٤٩ هـ) : " فإن كلامه ﷺ وإن كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته ؛ في الطبقة العليا بحيث لا يدانيه كلام ، ولا يقاربه وإن انتظم أي انتظام " [٥].

---

(١) مطبوع في تونس عام (١٩٦٧ م) وموضوعه معالجة طرق التعليم وتحديث مناهجه .

(٢) في قوله ﷺ : " فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم " الحديث ، رواه مسلم (١ / ٣٧١) (رقم ٥٢٣) عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) البيان والتبيين (٢ / ١٨) .

(٤) السابق (٢ / ١٧ ، ١٨) .

(٥) الطراز (١ / ١٦٠) .

بيد أن المصنفين في فنون البيان وآداب الإنشاء وصناعة الكتابة لم يغفلوا عن بيان قيمة الاقتباس من القرآن والحديث ، بل جعلوهما ــ أي القرآن والحديث ــ في مقــدم ما يحتاج إليه المنشئ والبليغ والشاعر من آلات بها قوام صنعته ، وممــن نصّ على ذلك ضياء الدين ابن الأثير وشهاب الدين الحلبي وابن الأثير الحلبي .

قال شهاب الدين الحلبي : " أول ما يبدأ به من ذلك ــ أي طالب صناعة الكتابة والإنشاء ــ حفظ كتاب الله تعالى وإدامة قراءته وملازمة درسه وتدبر معانيه، حتى لا يزال مصوراً في فكره ، دائراً على لســانه ، ماثلاً في قلبــه ، ذاكــراً له في كل ما يرد عليــه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر إلى إقامة الأدلة القاطعة به عليها ، وكفى بذلك معيناً في قصده ، ومغنياً له عن غيره . . .

ويــتلو ذلك الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية صلوات الله على قائلها وسلامه ، وخصوصاً في السير والمغازي والأحكام ، والنظر في معانيها وغريبها وفصــاحتها ، وفقــه ما لابد من معرفته من أحكامها ، لينفق منها عن سعة ، ويستشهد بكل شيء في موضعه ، ويحتج بمكان الحجة ، ويستدل بموضع الدليل ويتصــرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ، ويبني كلامه على أصل لا يرفع ، ويسوق مقاصده إلى سبيل لا يصد عنه ولا يدفع ، فإن الدليل على المقصد إذا اســتند إلى الــنص سَــلِم له وسُــلِّم ، والفصاحة إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم " (١).

---

(١) حسن التوسل (٧٢ ــ ٧٨) .

ويقول ابن الأثير الحلبي : " وليس له وصول ــ أي المنشئ والبليغ ــ إلى بلوغ مقاصده من مخاطبة كل أحد بما يليق به ، والتمكن في صناعته إلا إذا استعد لذلك بتحصيل أصول يرجع إليها ، فمنها :

أن يحفظ كتاب الله تعالى ، إذ له فائدتان في حفظه ؛ إحدى الفائدتين: أن يدخل في زمرة من أثنى عليه رسول الله ﷺ بقوله : " خيركم من تعلم القرآن وعلّمه" (١)، فهذه فائدة أخروية .

والفائدة الثانية : أن يطلع على أسرار الكتاب العزيز بكثرة تلاوته ، ويتدرب باستعماله في مطاوي كلامه ، والاستشهاد به في الوقائع المناسبة لكل آية من آياته ، وهذه فائدة تحصّل له المقاصد الدنيوية .

ومنها : حفظ جملة من الأحاديث النبوية ، لفائدتين : إحداهما : تبركاً بالحديث لقوله ﷺ : " من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة العلماء " (٢).

والفائدة الثانية : السلوك به مسلك كتاب الله العزيز ، باستعماله في مطاوي كلامه مكان الاستشهاد به ، وعند الاحتياج إليه بأمر أو نهي ، بشرط لزوم الأدب الشرعي في استعماله ، حتى لا يستعمله فيما يُكره الاستعمال فيه شرعاً " (٣).

ويتحدث الطوفي عن الآلات التي يحتاجها الراغب في التأليف فيقول : " النوع السادس والسابع : حفظ الكتاب وجملة صالحة من السنة ، ليستعمل ذلك في غضون كلامه تضميناً وتلميحاً واستشهاداً كما فعل ابن نباتة في

---

(١) رواه البخاري (٤ / ١٩١٩) (رقم ٤٧٣٩) عن عثمان ﷺ .

(٢) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١ / ١١٨ ، ١١٩) وقال : " هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ " . وله طرق وروايات أخرى لا تصح أيضا ، كما يقول ابن الجوزي .

(٣) جوهر الكنز (٢٩ ، ٣٠) وينظر : المثل السائر (١ / ٤٠ ، ٤١) .

خطـــبه ، فـــإن لذلك رونقاً عظيماً على الكلام، ويتسلط الإنسان بالنظر في عجائـــب ما اشتملا عليه من الفصـــاحة على اســـتخراج فوائد جمـــة ، والله أعلم " [١] .

ويطـــول بـــنا المقام لو ذهبنا نتتبع مقالات العلماء في هذا السبيل ، وأياً ما كانت فإنها دالة على أهمية القرآن والســـنة وأنهما المنهل العذب والمورد النمير ، الذي يصـــدر عنه الكاتبون والمنشئون والبلغاء بالمعاني الجياد والصور البديعة ، التي تثير النفوس وترهف الإحساس وتؤثر في القلوب .

الاقتبـــاس وموقعـــه البلاغي :

لمـــا كان الاقتبـــاس من القرآن والحديث في بعض جهاته بمثابة الحلية التي يزدان بها الكلام ، أو هو مما يزيد الكلام حلاوة ، ويكسبه رونقاً وطلاوة ،كما يقـــول الطـــوفي [٢]، فقد جعله البلاغيون ضمن فنون البديع [٣]، واغتبط به أصحاب البديعيات وشراحها .

والـــذي يجـــب بيانه هنا أن معنى كونه من البديع عندهم أنه من التحسين الـــثانوي أو الأخير، الذي يجيء بعد الفراغ من الاعتبارات الجوهرية في حسن الكـــلام ، من مطابقته لمقتضى الحال وإيراده في طرق واضحة [٤]، ذلك أنهم قـــالوا في تعريف البديع : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة . [٥]

---

(١) الإكسير (٥٦) .

(٢) السابق (٢٨٧) وينظر : جوهر الكنز (٢٦٢) .

(٣) يـــنظر : نهايـــة الإيجاز (٢٨٨) معيار النظار (٢ / ١٠٩) التبيان للطيبي (٤١٦) الإيضاح ، شـــروح التلخيص (٤ / ٤٦٨) خلاصة المعاني للمفتي (٤٨٠) حاشية البناني مع تقرير الإنبابي (٤ / ٤٧٣) فيض الفتاح (٢ / ٣٢٩) .

(٤) ينظر : مناهج تجديد في النحو والبلاغة لأمين الخولي (١٧٨) .

(٥) التلخيص (٣١٥) الإيضاح (٤ / ٢٨٢) .

ولا جرم أن هذه نظرة سيئة وظلم لا للاقتباس وحده ، ولكن لعلم البديع أجمع ، وأول من سن هذه النظرة القاصرة السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) يوم جعل البديع ذيلاً لعلمي المعاني والبيان ومكملاً لهما ، ولم يشيده علماً أو قسماً قائماً بنفسه مقابلاً لصنويه الآخرين ، بل هو عنده " وجوه مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام " (١) .

والسكاكي بصنيعه هذا ـ وإن لم يتعرض للاقتباس على وجه الخصوص ، ولكني أريد حديثه عن البديع بعامة ـ أقول : إن السكاكي بصنيعه هذا قد زين لكثير ممن جاء بعده تهميش البديع والتقليل من شأنه ، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن شبهوه بالطلاء الذي تطلى به البيوت بعد استكمال البناء ، فهو مجرد زينة خارجية وطلاء ظاهري ، لا تتوقف جودة البناء على بقائه ، ولا تذهب بذهابه (٢) .

انظر إلى قول التفتازاني معللاً تقديم الخطيب القزويني علم البيان على البديع: " قدمه على البديع للاحتياج إليه في نفس البلاغة ،وتعلق البديع بالتوابع "(٣) قال الدسوقي تعليقاً على هذا : " أي توابع البلاغة ، وذلك لأن البديع علم يعرف به تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، فلا جرم أنه لا تعلق له بالبلاغة ، وإنما يفيد حسناً عرضياً للكلام البليغ " (٤).

ولست الآن بسبيل من بسط القول في هذا الموضوع ، ولكن حسبي أن أشير إلى قيمة الفنون البديعية باشتمال القرآن على كثير منها ، وكذا أحاديث

---

(١) المفتاح (٢٠٠) .

(٢) المنهاج الواضح في البلاغة لحامد عوني (١ / ١٦٢) . دراسات في علم البديع لعبده زايد (٥) .

(٣) مختصر السعد (٣ / ٢٥٦ ـ شروح التلخيص ـ) .

(٤) حاشية الدسوقي (٣ / ٢٥٦) .

النبي ﷺ ، وقد جاءت ألوان البديع هناك ــ أعني في محالها من القرآن والسنة ــ وفقاً لما يستوجبه المقام وتقتضيه الحال، في أكرم موضع وأعز مكان، وليست حلية ترف ولا زينة، يستغني الكلام عنها بعد أن يكون المعنى قد استوفى تمامه، و لم تجئ تلك المحسنات البديعية في المرتبة الثالثة بعد استيفاء علمي المعاني والبيان حقهما ، بل جاءت المحسنات في مكانها لتقوم بنصيبها من أداء المعنى أولاً ، أما ما فيها من جمال لفظي فقد جاء من أن تلك الكلمة ذاتها يتطلبها المعنى ويقتضي المجيء بها ، وبذا يستبين لك أن الجمهور الغالب لأساليب البديع ــ لاسيما ما ورد منها في النصوص الشريفة ــ " وثيق الصلة ببلاغة الكلام ، وأن مكانه من الغرض ومحله من التحسين ذاتي أصيل ، لا شائبة للعرضية فيه ، ما دام مقياس الذاتية والعرضية عند علماء البلاغة هو اقتضاء المقام أو عدم اقتضائه " (١) .

وما يهمنا الآن قوله: إن الاقتباس لا يمكن أن يدرج في باب البديع على مفهوم البلاغيين ، أي بأن يكون الغرض منه تحسين القول ليس غير، حتى ولو قيل عن الاقتباس : " إنه أحسن الوجوه في هذه الصنعة " (٢)، فإننا نرى كثيراً من المقتبسين من القرآن والحديث وبخاصة في النثر لا يكون قصد التحسين أكبر عندهم من إصابة الغرض في المعنى وإيفاء المقام حقه (٣) .

وما لنا نذهب بعيداً وهذا رسول الله ﷺ يقول حين دخل خيبر غازياً لها في جملة من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ: " الله أكبر ، خربت خيبر، إنا إذا

---

(١) الصبغ البديعي (٤٩٨) وينظر : من بلاغة القرآن لأحمد بدوي (١٨١) .

(٢) مفتاح المفتاح (ل ٢١٤ / أ) .

(٣) ينظر : شرح التلخيص للبابرتي (٤٠٧) .

نزلـــنا بســـاحة قـــوم فساء صباح المنذرين " [١] أفيكون غرضه ﷺ من هذا الاقتـــباس هـــو مجرد الحسن وتزويق الألفاظ ، أم أن المقام مقام تهديد وفخر وإظهـــار للقوة وإرهاب للعدو وتلويح بالنصر وتفاؤل به ؟ وأنه لا شيء أقوم بهذه المعاني من قوله عليه الصلاة والســـلام مقتبساً : " إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " .

وكان الخطيب القزويني قد عرض للاقتباس في إثر مبحث السرقات متصلاً بهـــا مع نظائره من التضمين والعقد والحَل والتَلْميح [٢] قافياً لمباحث البديع ، متمماً لها بهذا المبحث لنظرة منهجية لديه ، وكان صنيع الخطيب هذا قد أغرى بعـــض الدارســـين أن يجعـــل السرقات بجميع أنواعها وما يتصل بها ـــ وفيها الاقتـــباس ـــ مـــن مباحث النقد ، ويعتقد أنه ليس بينها وبين البديع صلة ولا مناسبة [٣]،وأعرض بعضهم عن بحث هذه الأشياء مع أنه كتب في البديع[٤] .

وتصحيحاً لهذه النظرة أقول :

أولاً : إن الخطيب لم يخرج السرقات ومتعلقاتها من البديع بالكلية ، بل كان يمـــيل إلى أنهـــا من جملة فنون البديع ، فإنه قال في ختام مباحث البديع ما هذا نصه: " هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث (أي الـــبديع) وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين ، منها ما يتعين إهماله لعدم

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تعريف التضمين والعَقْد ، وأما الحَلُّ : فهو نثر النظم ، أي عكس العقد . والتلميح : هو أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره . ينظر : التلخيص (٣٨٣ ، ٣٨٤) الإيضاح (٤ / ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

(٣) معيار النُّظار (٢ / ١٠٩) (تعليق) .

(٤) مثلما فعل الدكتور فضل حسن عباس في كتابه " البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع " .

دخوله في فن البلاغة . . . ، ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة، وهو شـيئان؛ أحدهما السرقات وما يتصل بها. . ." [1]. قال الدسوقي معلقاً : " قوله: (وبقيت أشياء ، إلخ) هذا ظاهر في كون تلك الأشياء من نفس الفن لا خارجـة عـنـه ، وإلا فـلا وجـه للتعبير بالبقـاء ، ولا بقـولـه : (في علم البديع: إلخ) " [2] هذا أولاً .

وثانياً : لم يجعل الخطيب الاقتباس من صميم السرقات ، بل هو عنده متصل بها ، كما صرح بذلك،وهو منـزَّه عن أن يُسَمَّى سرقة،كما يقول العصام [3] ولا ريـب لـديّ في أن الاقتباس عند الخطيب أدخل في البديع منه في النقد ، ولكـن الـذي حمل الخطيب القزويني على تأخير الاقتباس وسلكه في مبحث السرقات متصلاً بها أن فيه معنى أخذ شيء من شيء ، أو كما يقول ابن عرفة : " كون كل من القبيلين فيه إدخال معنى كلام سابق في لاحق " [4].

ولهـذا فإن بعض العلماء المعاصرين حين عمد إلى تهذيب الإيضاح وحذف مـنه باب السرقات لأنها من باب النقد ـــ كما يقول ـــ أبقى على الاقتباس ونظائـره مـن التضمين والعقد والحل والتلميح حيث يرى " أن هذه الأنواع الخمسة من المحسنات البديعية " [5].

---

(١) الإيضاح (٤ / ٤٦٨) .

(٢) حاشـية الدسوقي (٤ /٤٧٤) تنبيه : في الذي بأيدينا من نسخ الإيضاح : " يذكرها فيه بعض المصـنفين " ومـا ذكره الدسـوقي بقوله : " في علم البديع " هو ما نقله من " مختصر السـعد " ولعل ذلك في نسخة السعد من الإيضاح والخطب يسير لأن المؤدى واحد .

(٣) ينظر : الأطول (٢ / ٢٥٠) .

(٤) حاشية الدسوقي (٤ / ٤٧٤) .

(٥) تهذيـب الإيضاح لعز الدين التنوخي (١ / ٣٠٠ ، ٣٤٠) وينظر : بغية الإيضاح(٤ / ١٠٨) تعليق .

هـــذا ؛ وعلى ما حظي به الاقتباس من العناية الواســـعة لدى البلاغيين ، واحتفلـــت به مصنفاتهم تنظيراً واستشهـــاداً وتحليـــلاً ، فإننـــا لم نـــر له أثراً في " المفـــتاح " للســـكاكي ، ولا " المصـــباح" لـــبدر الديـــن بـــن مالك (ت ٦٨٦ هـــ) ، ولا " الطراز " ليحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـــ) ، مع أن هذه الكتب معدودة في أصول هذا العلم .

وإذا تجوَّزنـــا ـــ قليلاً ـــ في الاعتذار عن السكاكي حيث إنه لم يستوعب الفنون البديعية بل اختصرها ، كما يقول الشـــريف الجرجاني [١] ، ولم يحفل بهـــا [٢] ، وعذرنا بدر الدين بن مالك لأن كتابه " المصباح " تلخيص للقسم الـــبلاغي مـــن " المفتاح " سائر على نهجه في الجملة [٣]، فلا نجد عذراً ليحيى العلـــوي ، فإن " نهـــاية الإيجاز " للفخـــر الـــرازي و" المثل السائر " لابن الأثير كانا بين يديه وضمن مراجعه الأربعة التي اعتمدها في تأليف " الطراز " ، كمـــا صـــرح بذلك في فاتحته [٤]، وقد طرق الرازي وابن الأثير الاقتباس في الكتابين المذكورين ، كما علمت من قبل .

حكـــم الاقتبـــاس :

لا بد لمن عرض للاقتباس غالباً أن يتناول القول في حكمه ، وقد رأينا كثيراً مـــن المصنفات البلاغية لم تخل من بيان ذلك الحكم والاستدلال عليه . بيد أن مـــنهم مـــن كـــان كلامه فيه قليلاً وهم الأكثر ، ومنهم من بسطه كما فعل

---

(١) المصباح شرح المفتاح (٩٦٢) .

(٢) ينظر : البلاغة عند السكاكي (٣٤٠) .

(٣) البلاغة تطور وتاريخ (٣١٥) .

(٤) الطراز (١ / ٤) .

السيوطي في " شرح عقود الجمان " ، سوى ما خصه به من تأليف مستقل في رسالته "رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس"[1] .

وإذا غادرنا المؤلفات البلاغية إلى غيرها من المصنفات في علوم القرآن وكتب الفقه وشروح الحديث والآداب الشرعية ، وجدنا للعلماء كلاماً غير يسير في الاقتباس ، لكنه مفرق في كتبهم لا ينتظمه باب واحد ، ومن العلماء من أفرده بالتأليف لبيان حكمه واستيعاب كلام أهل العلم فيه . ورأيتَ من أسماء هذه المؤلفات شيئاً في مقدمة البحث .

١ ــ والذي عليه جماهير العلماء من الحنفية والمالكية والحنابلة والشافعية جواز الاقتباس من القرآن في النثر ، وقد نقل الاتفاق على هذا الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته " رفع الباس " وحشد له الأدلة، وساق النصوص من كلام النبي ﷺ ثم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة حتى عصره ، وقال في حاشيته على تفسير البيضاوي : " فإن قلت : نرى في هذا الزمان قوماً يستنكرون ذلك ــ أي الاقتباس ــ ويقولون : ألفاظ القرآن لا تستعمل في غيره ، قلت : إنما استنكره هؤلاء جهلاً منهم بالنصوص والنقول ، فقد استعمله النبي ﷺ في غير ما حديث ، والصحابة والتابعون والعلماء قديماً وحديثاً ، ونصوا في كتب الفقه على جوازه "[2] .

---

(١) وهي مطبوعة في ضمن كتابه " الحاوي للفتاوي " (١ / ٢٥٩) كما تقدم .

(٢) نواهد الأبكار وشواهد الأفكار (ل ٦ / أ) وينظر : حاشية ابن عابدين (٤ /١٥٢) الفواكه الدواني (١/ ٥٨) حاشية الشبراملسي على نهاية المحتاج (٣١٦/٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٧٧/٢) شرح عقود الجمان للمرشدي (٢ /٢١٣) ، وينظر : ما سيأتي من مراجع في الهوامش التالية .

وقال السيوطي أيضاً : " لا أعلم بين المسلمين خلافاً في جواز الاقتباس في النثر في غير المجون والخلاعة والهزل " [١] .

وقد نقل هذا الاتفاق عن السيوطي جماعة من أهل العلم وأقروه عليه ، منهم: ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٣هـ) [٢] ،وابن أبي اللطف (كان حياً سنة ٩٩٢ هـ) [٣] وعلاء الدين الحَصْكفي (ت ١٠٨٨ هـ) [٤] وعبد الباقي الزُّرقاني (ت ١٠٩٩هـ)[٥] وابنه محمد بن عبدالباقي الزُّرقاني (ت ١١٢٢هـ) [٦] .

قال السيوطي بعد أن سرد الأدلة وساق أقاويل العلماء : " هذا مجموع المنقول عندنا في هذه المسألة ، وحاصله الاتفاق على جواز اقتباس القرآن في النثر " [٧] وقال ابن حجر الهيتمي : " الاقتباس القرآني فيه كلام منتشر للعلماء وخلاصة الحق منه أنه مجمع على جوازه، كما قاله بعض المتأخرين المطلعين " [٨] .

ومن الأدلة على جواز الاقتباس من القرآن ما مر بك من قوله ﷺ حين دخل خيبر : " الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " [٩]، فاقتبس ﷺ من قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ

---

(١) تنوير الحوالك (٢ / ٢٣) .
(٢) المنح المكية (١ / ١٠٨) .
(٣) دفع الالتباس (ل ٣ / ب) .
(٤) الدرر المنتقى في شرح الملتقى (١ / ٦٤٩) .
(٥) تقرير الإنبابي (٤ / ٤٧٥) .
(٦) شرح موطأ مالك (٢ / ٣٢٦) .
(٧) رفع الباس (١ / ٢٧٨) .
(٨) المنح المكية (١ / ١٠٨) .
(٩) تقدم تخريجه .

فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات:١٧٧][1] . قال السيوطي عند هذا الحديث : " إنه من أدلة جواز الاقتباس من القرآن ، وهي كثيرة لا تحصى "[2] وقال القاضي عياض : " فيه جواز النزاع بآيات القرآن والاستشهاد بها في الأمور الحقيقية ، وقد جاء في هذا كثير من الآثار "[3]. وقال صاحب "عون المعبود شرح سنن أبي داود " عند قوله ﷺ للفُريعة بنت مالك رضي الله عنها وقد توفي عنها زوجها :" امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله"[4] قال: " هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ونظائر الاقتباس في الأخبار كثيرة ، ولا عبرة لقول من كرهه "[5].

فمجيء الاقتباس القرآني في السنة دليل على إباحته ، ومما يستدل به على الجواز أيضا ثبوت الاقتباس بالأسانيد الصحيحة عن كبار الصحابة ؛ كأبي بكر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل ﷺ ، وثبوته كذلك عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام ومشاهير الإسلام كالإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) والشافعي (ت ٢٠٤ هـ) وأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) والقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) وأبي عمرو بن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) والحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) وابن القيم (ت ٧٥١ هـ) في آخرين من

---

(١) مرقاة المفاتيح (٧ / ٣٤٩) .

(٢) شرح سنن النسائي (٦ / ١٣٢) .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦ / ١٨٠) ومثل هذا في شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ١٦٤) .

(٤) رواه مالك في الموطأ (٢ / ٥٩١) ومن طريقه أبو داود (٢ / ٧٢٣) (رقم ٢٣٠٠) وإسناده صحيح .

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٦ / ٤٠٧) .

كبار أهل العلم [1]. فإنهم اقتبسوا من القرآن واستفاض هذا بينهم جداً ، ولم يروا به بأساً ، ولم ينكروه ، وكل ذلك دليل على الجواز [2].

وذكر الحافظ السيوطي أن أبا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ألف كتاباً في جواز الاقتباس من القرآن ، ساق فيه جميع ما وقع للصحابة والتابعين من ذلك ، أورده بالأسانيد المتصلة إليهم .[3]

وإذا جاز الاقتباس من القرآن في النثر فمن الحديث النبوي من باب أولى، لأن الحديث تصح روايته بالمعنى على الصحيح ، " وهو الذي تشهد به أحوال الصحابة رضي الله عنهم والسلف الأولين " كما يقول ابن الصلاح [4] .

ذلك هو حكم الاقتباس من القرآن والحديث في الكلام المنثور ، وهو كما ترى جائز بلا خلاف .

وأما قول السيوطي في منظومته : "عقود الجمان " قلت :

وأما حكمه في الشرعِ فمالكٌ مشددٌ في المنعِ

وقوله في شرحه : " فأما المالكية فإنهم يبالغون في تحريمه ، ويشددون النكر على فاعله " [5]، فإن ذلك منقوض بما نقله السيوطي نفسه في رسالته : " رفع الباس" و" تنوير الحوالك" عن الإمام مالك من استعماله الاقتباس[6] ، واستعمال كبار أتباعه المالكية له وإجازتهم إياه،كابن عبد البر

---

(١) تنظر بعض نصوص هؤلاء فيما تقدم من البحث وينظر أيضا رفع الباس (١ / ٢٦٤) للسيوطي

(٢) ينظر : النفحة البشامية في بيان حكم السرقات الكلامية (٧١١) .

(٣) تنوير الحوالك (٢ / ٢٤) .

(٤) مقدمة ابن الصلاح (٣٩٤) وينظر : شرح علل الترمذي لابن رجب (١ / ١٤٥) .

(٥) شرح عقود الجمان (٢ / ٢١٥) وينظر الإتقان (١ / ٣١٤) .

(٦) رفع الباس (١ / ٢٦٦ ــ الحاوي ــ) تنوير الحوالك (٢ / ٢٤) .

(ت ٤٦٣هـ)[١] والقاضي عياض(ت ٥٤٤ هـ)[٢] وابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ أو ٤٦٣ هـ) في "شرح موطأ مالك "، وغيرهم[٣]، بل قال السيوطي : " روى الخطيب البغدادي وغيره بالإسناد عن مالك بن أنس أنه كان يستعمله ، وهذه أكبر حجة على من يزعم أن مذهب مالك تحريمه " [٤] .

ولقد جعل بعض العلماء اختلاف القولين من السيوطي عن الإمام مالك وأتباعه وهماً من السيوطي [٥] ، وغلطاً منه [٦] ، وتعجب آخرون من ذلك [٧] ، ورأى ابن أبي اللطف أن كلام السيوطي المثبت مقدم على كلامه النافي ، لما تقرر في قواعد علم الأصول ، من أن المثبت مقدم على النافي . [٨]

وحمل بعض أتباع مالك كلام مالك في المنع ــ إن صح عنه ــ على الاقتباس القبيح الذي يتضمن إساءة أدب . قال العلامة ابن عُبيد الدِّماني المالكي (من علماء القرن الثالث عشر) في "شرح عقود الجمان " عند قول السيوطي: " فمالك مشدد في المنع " قال :" لكن المعتمد عند المالكية أنه (أي المنع) خاص بما فيه إخلال بتعظيم القرآن ، وفيه نقل ما نسب إليه سبحانه إلى حادث وإلا فالمشهور جوازه نثراً " [٩] .

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢ / ٢٢٣) .

(٢) إكمال المعلم (٦ / ١٨٠) .

(٣) رفع الباس (١ / ٢٦٦) .

(٤) تنوير الحوالك (٢ / ٢٤) .

(٥) ينظر : شرح الموطأ للزرقاني (٢ / ٣٢٦) .

(٦) ينظر : شرح المواهب اللدنية (٢ / ٢٢١) .

(٧) ينظر : تقرير الإنبابي (٤ / ٤٧٥) .

(٨) دفع الالتباس (ل ٥/ أ) .

(٩) طرّة العلامة مَحَنْض باب بن عبيد على عقود الجمان (١٦٠) وينظر : حاشية النبابي (٤ / ٤٧٥) .

٢ ــ وأما الاقتباس في الشعر فالذي عليه أكثر العلماء الجواز [١] ، وكره ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)[٢] والنووي (ت ٦٧٦ هـ) فيما روي عنه [٣]، ويبدو أن كراهتهما باعثها الورع والتأدب مع القرآن والحديث ، كما أشار إلى هذا المعنى السُّبكيان بهاء الدين (٧٧٣هـ)[٤] وأخوه تاج الدين (ت ٧٧١ هـ)[٥].

لقد فرق الباقلاني والنووي بين الاقتباس في النثر والشعر ، وذلك أنهما رأيا أن الله عز وجل نزَّه القرآن عن أن يكون شعراً ، ونفى عن نبيه ﷺ قول الشعر فقال عز وجل :﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يس: ٦٩] وقال سبحانه : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحاقة: ٤١] ، فليس من اللائق بعدئذ أن يُنظم شيء من القرآن أو الحديث في سياق الشعر فينسب هذا إلى الله أو إلىرسوله ﷺ على أنه من كلامهما .

قلت : والحق الذي يجب المصير إليه ما ذهب إليه الأكثرون من جواز الاقتباس في النظم ، لعدم الدليل المانع من ذلك . ثم إن القول بمنع الاقتباس في الشعر موجب للتفريق بين النثر والشعر ، وهما سواء ، كما قال الإمام

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن (١ / ٤٨٣) الآداب الشرعية (٢ / ٢٧٧) رفع الباس (١ / ٢٧٨) حاشية الشرواني على تحفة المحتاج (٣ / ٤٤٧) الدر المنتقى (١ / ٦٤٨) .

(٢) إعجاز القرآن (٢٠٥) .

(٣) ينظر : شرح عقود الجمان للسيوطي (٢ / ٢١٥) وصدره بقوله : " وفي حفظي من كتاب الشعر للشيخ علاء الدين ابن العطار أنه نقل فيه عن شيخه الشيخ محيي الدين النووي جواز الاقتباس في النثر في الخطب والوعظ ، ومنعه في النظم " .

(٤) عروس الأفراح (٤ / ٥١٤) .

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٥ / ١٣٩) .

الشـــافعي ــ رحمه الله ــ : " الشعر كلام حَسَنه كحَسَن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام " [1]، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فإن الشاعر في اقتباسه لا يصرح بأن المقتبَس (بفتح الباء) هـــو عين كلام الله وكلام رسوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، أي لا يقول : قال الله أو قال رسول الله ﷺ ، أو نحو ذلك ، فيقال إنه قد جعل نص القرآن أو الحديـــث شعراً ، ولكن المقتبِس يورد ذلك على أنه من كلامه هو ، وإذا كان الاقتـــباس تضمين الكلام جملة أو أكثر توافق عبارة القرآن أو الحديث وليست منهما حقيقة ، فإنه يسوغ للشاعر تغيير ما اقتبسه بزيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، أو تعريف أو تنكير ، أو إبدال للظاهر من المضمر أو العكس ، إلى غير ذلك مما يبتغيه الوزن من غير نكير [2] .

وتغيير النظم حال الاقتباس لا بأس به ، بل قد دل الدليل على جوازه ، فهذا رسول الله ﷺ يقول : " إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلـــوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض " [3] ففي الحديث اقتباس ــ كما قـــال الســـيوطي ــ مـــن قوله تعـــالى : ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٣] لكن في الحديث جاءت لفظة (عريض) عـــوض (كبير) قال السيوطي : " وفيه (أي الحديث) حجة لأمر آخر (أي سوى الاقتباس) وهو أنه يجوز تغيير بعض النظم بإبدال كلمة بأخرى وبزيادة

---

(١) الأم (٦ / ٢٩٤) وينظر : مناقب الشافعي للبيهقي (٢ / ٦٠) .

(٢) طراز الحلة (٢٦٩) خزانة الأدب (٤٥٦) وينظر: حاشية نهاية المحتاج لضياء الدين الشبراملسي (٢/ ٣١٥).

(٣) رواه الـــترمذي عـــن أبي هريـــرة (٣ / ٣٨٦) (رقم ١٠٨٤) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١ / ٣١٥) (رقم ٨٦٥) وفي السلسلة الصحيحة (١ / ٢٠) (رقم ١٠٢٢) .

ونقص ، كما يفعله أهل الإنشاء كثيراً ، لأنه لا يقصد به التلاوة ولا القراءة ولا إيراد النظم على أنه قرآن " [١] .

وهـــهـــنا مـــلمح لطـــيف أورده العـــلماء ، ينكشف لنا فيه أن المقتبِس (بكسر الباء) لا يريد أن يكون ما جاء به نفس القرآن أو الحديث ؛ وهو أنه يجوز للجنب أن يقول لإنســـان : خذ الكتـــاب بقـــوة ، ويقول عند ركوب الدابة : سبحان الذي ســـخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، ويقول : الحمد لله رب العالمين ، لا ينوي بذلك القرآن[٢] .

كمـــا أنـــه يجوز للمصلي أن يقول داعياً في ســـجوده : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ويقول : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتـــنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، ويقول : ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ويقول : ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنـــت العزيز الحكيم ، ونحو ذلك . مع أن المصلي منهي عن أن يقرأ القرآن في ركوعه وسجوده ، كما ثبت بذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ [٣] ، ولكن هذا المصلي لا يريد قراءة القرآن ، وإنما أراد الدعاء .

وإذا جوَّزنا لقائل أن يقول هذه الكلمات لا على أنها من القرآن ، فأيُّ فرق بين ذلك وبين أن نقول نظماً :

ســـألتكَ يا خالقي رحمـــةً فإنك أنت الغفورُ الرحيمْ
ولا تَفْتِنَنْ يـــا إلـــهي بنـــا فإنك أنت العزيزُ الحكيمْ

---

(١) رفع الباس (١ / ٢٦٦) .

(٢) يـــنظر : التبيان في آداب حملة القرآن (٣٨) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢ / ٦٦) البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٨٢) فتح الباري (١/٤٨٦) .

(٣) رواه مسلم (١ / ٣٤٨) (رقم ٤٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقول الشاعر : سبحان من سخَّر هذا لنا منه وما كنا لـه مقرنينْ [1]

وقول الآخر: كلُّ شيء يَبيدُ واللهُ باقٍ ربنا إننا إليك أنبنا ؟ [2]

ومما احتج به السيوطي على جواز الاقتباس في الشعر أن ذلك قد وقع في أشعار كثير من علماء الإسلام وأعلامه، ورَوَى هذه الأشعار مسندةً وغير مسندة علماء معتبرون فيمصنفاهم واستشهدوا بها ، قال السيوطي : " وتكفينا هذه الأئمة في جواز استعماله عند الله تعالى " [3]، وقال تاج الدين السبكي نحواً من هذا . [4]

ومن ذلك الشعر المروي عن العلماء قول أبي القاسم الرافعي (ت ٦٢٣ هـ) شيخ الشافعية في عصره [5] :

الملكُ لله الذي عنت الوجو (م) هُ له وذلَّت عنده الأربابُ

متفرِّدٌ بالملك والسلطان قد خَسر الذين تجاذبوه وخابوا

دَعْهمْ وزعمَ الملك يومَ غرورهمْ فسيعلمون غداً مَنِ الكذابُ [6]

وروى الحافظ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) في "شعب الإيمان " عن شيخه أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال : أنشدنا أحمد بن يزيد لنفسه :

سَلِ الله من فضله واتَّقهْ فإن التُّقى خير ما يُكتسَبْ

ومن يتقِ الله يصنعْ له ويرزقْه من حيث لا يحتسِبْ [7]

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (٥٣) .

(٢) أنوار الربيع (٢ / ٢٥٠) .

(٣) أحاسن الاقتباس (ل ٢ / ب) .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٥ / ١٣٩) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٢٥٢) .

(٦) الإتقان (١ / ٣١٦) .

(٧) شعب الإيمان (٢ / ١١٣) وينظر : تبيين كذب المفتري لابن عساكر (٢٥٤) .

ومـــن شعر أبي بكر محمد بن الوليد الطُّرْطُوشي الحافظ (ت ٥٢٠ هـــ) صاحب كتاب "الحوادث والبدع" :

رحل الظاعنـــون عنـــك وأَبْقَـــوْا في حواشي الأحشاء وَجْداً مقيما
قد وجدنـــا السلام برداً ســـلاماً إذْ وجدنا النوى عذابـــاً أليمـــا[١]

وقال الإمام ابن القيم (ت ٧٥١ هـــ) في نونيته المشهورة :

فإذا أبيتـــم فالســـلام على من اتـــ(م)ـــبع الهـــدى وانقـــاد للقـــرآنِ [٢]

وقال في وصف الجنة :

فيهن حـــورٌ قاصراتُ الطرفِ خيـــ(م)ـــراتٌ حسانٌ هُنَّ خيرُ حِســـانِ [٣]

قال السيوطي بعد إيراده بيتي أحمد بن يزيد اللذين رواهما البيهقي : " فإسناد البـــيهقي هذا الشعر وتخريجه في مثل هذا الكتاب الجليل (شعب الإيمان) يدل على أنه يجوِّزه ، وقد استعمله الإمام الرافعي ، وناهيك به إمامة وجلالة وورعاً . . . واســـتعمله أيضاً شيخ الشيوخ الحموي وابن الوردي وجمع من المتأخرين آخـــرهم الحـــافظ ابـــن حجـــر ، ولما أنشأ شيخنا الشهاب الحجازي كتاب " اقتباسات القرآن " أوقفه [٤] عليه ، فكتب له خطه عليه ، وأثنى عليه " [٥] .

وممـــا يســـتدل بـــه من اســـتعمالات العلماء في هذا ما قام به أصحاب المـــنظومات العلمـــية في اللغـــة وغيرها ، من تضمين مقاطع من آيات قرآنية للاستشـــهاد بهـــا في تقريـــر القواعـــد ، كمـــا في قـــول ابن معط النحوي (ت ٥٢٨ هـــ) في عمل (ما) عمـــل (ليس) :

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١ / ٤٨٢) .

(٢) الكافية الشافية مع شرح ابن عيسى (٢ / ٣٣٩) .

(٣) السابق (٢ / ٥٠٨) .

(٤) الصواب : وقَفَه ، فالفعل ثلاثي .

(٥) رفع الباس (١ / ٢٧٧) .

يشهدُ للحجاز في لغاتهمْ مقالةُ : ما هُـنَّ أمهاتـهمْ [١]

وقوله في باب التنازع :

كَمِثْـلِ: زارني وزرتُ عمْرا ومنه : آتوني أفرغ عليه قِطْرا [٢]

وأجـلى مـن ذلك ما صنعه ناظمو القراءات القرآنية ، فإنهم يسوقون في منظوماتهم جملاً وألفاظاً من القرآن على حسب قراءاته المختلفة ، وقد تلقّى العلماء هذه المنظومات بالقبول ، وأثنوا عليها وشرحوها في مجالس التعليم وفي المساجد ، ووضعوا في شرحها مصنفات خاصة .

ومن تلك المنظومات "حرز الأماني " للشاطبي (ت٥٩٠ هـ) في القراءات السبع ، وفيها يقول :

و(مالك يوم الدين) راويه ناصِرٌ

وعند (سِراطٍ) و (السِّراط) لقُنْبُلا [٣]

ويقول :

(قل الله ينْجِيكمْ) يثقِّلُ مَعْهُـمُ

هِشـامٌ ، وشـامٍ (يُنْسينَّكَ) ثَقَّلا [٤]

وهـذه المنظومات التعليمية وإن كانت في العَقْد أدخل منها في الاقتباس إلا أن فيها شاهداً قوياً على إباحة الاقتباس في الشعر عند العلماء ،كما هو ظاهر ؛ فإنه إذا جاز إدخال الآيات القرآنية في الشعر بحروفها وألفاظها ومعانيها مضافة إلى الله ، فأحرى بالجواز تضمين الشعر شيئاً من القرآن لا على أنه من كلام الله تعالى .

---

(١) ألفية ابن معط مع شرح ابن القواس (٢ / ٨٨٦) .

(٢) السابق (١ / ٦٥١) .

(٣) حرز الأماني مع شرحها إبراز المعاني (٧٠) .

(٤) السابق (٤٤٦) .

ومـــع أن البلاغيين يصرحون أن المقتبَس ليس قرآناً ولا حديثاً ، بل هو من قبـــيل الموافقة أو المشابهة فإن كثيراً من العلماء اســـتحبوا أن يقع الاقتباس في الشـــعر العف ، الشريف الغرض ، النظيف المعاني ، وكرهوا أن يكون الشعر المقتبَس فيه من القرآن والسنة مما جرى في أودية السخف والهزل والغزل والمجون ونحـــو ذلك من المقامات الســـيئة، لما يتبادر إلى الذهن من أن هذه في الأصل ألفـــاظ قرآنية وجمل نبوية ، فكيف وقعت في ذلك السياق السيئ أو الخادش للحـــياء ، قـــال السيوطي : " قال الشرف إسماعيل بن المقرئ اليمني وهو من شيوخ شيوخنا في شرح بديعيته : " ما كان منه ـــ أي الاقتباس ـــ في الخطب والوعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، ولو في النظم فهو مقبول ، وغيره مردود " (١)

وقال ابن عقيل : " تضمين القرآن لمقاصد تضاهي مقصود القرآن لا بأس به تحسيناً للكلام ، وقد أنشدوا في الشعر :

ويُخْزِهُمُ ويَنْصُرُكمْ عليهمْ ويَشْفِ صدور قومٍ مؤمنينا

ولم ينكَر على الشاعر ذلك لما قصد مدح الشرع وتعظيم شأن أهله . وكان تضمين القرآن في الشعر سائغاً لصحة القصد وسلامة الوضع " (٢) .

قلت : الشعر والنثر حكمهما واحد فيما يجوز اللفظ به منهما وما لا يجوز كمـــا رأيت في كلمة الإمام الشافعي : " الشعر كلام حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام " (٣) .

---

(١) شـــرح عقـــود الجمان (٢ / ٢١٥) وهو موجود بمعناه في النسخة الخطية التي بأيدينا من شرح البديعية لابن المقرئ (ل ٥٤ / أ) .

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٢٧٧) .

(٣) الأم (٦ / ٢٩٤) .

وإنما خص العلماء الشعر هنا بالذكر فيما يحسن الاقتباس فيه وما لا يحسن، لأن وقوع الانحراف والمخالفات في الشعر أكثر منها في النثر ، وإلا فهما شيء واحـــد ، وإن كان يُتوسع في الشعر قليلاً ما لا يتوسع في النثر ، أعني من جهة الاستعارات والأخيلة وسائر ضروب المجاز،فإنها إلى الشعر أقرب منها إلى النثر .

واعلم أن في القرآن والحديث أشياء لا يجوز اقتباسها أبداً في شعر ولا نثر ، فمن ذلك ما أضافه الله إلى نفسه مما تكلم به سبحانه وتعالى ، فلا يحل لأحد أن يضيف إلى نفسه ما أضافه الله إلى نفسه المقدسة ، كقوله سبحانه مخاطباً موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾ [طه: ١٢] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠] فهذا لا يجوز اقتباسه أبداً .

ومما لا يجوز اقتباســـه أيضاً ما خوطب به الرب جلّ وعلا ، كما وقع في كتـــاب لعبد الرحمن المرشدي إلى أحد القضاة ، جاء فيه : " يا أعدل قاضٍ به عماد الدين ، آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين " (١)

ومن الاقتباس المحرم ما يتبادر إلى السامع أنه القرآن مع تغيير بعض الكلمات كقول أحد الكتاب : " والنجم إذا هوى ، ما ضل يراعك وما غوى ، علمه شديد القوى ، ذو مِرَّة فاستوى ..." (٢).

ومـــن محرم الاقتبـــاس ما يعد محاكاة للقرآن واســـتعمالاً له في غير معناه، كما في قول بعض الشعراء :

---

(١) أنوار الربيع (٢ / ٢٣٥) .

(٢) السابق (٢ / ٢٣٦) .

قمتُ ليلَ الصـــدود إلا قليـــلا ثـــم رتّلتُ ذكركم ترتيـــلا
ووصلتُ الســـُّهاد أقبحَ وصـــلٍ وهجرتُ الرُّقاد هجرًا جميلا
مسمعي كَلَّ عن سَماع عَذولي حين ألقى عليه قـــولاً ثقيـــلا
قُل لرامي الجفـــون إن لجفـــني في بحار الدموع سبحاً طويلا

إلى أن قال في ممدوحه :

لا تَسُـــمْهُ وعـــداً بغير نـــوال إنـــه كـــان وعده مفعـــولا
إن مدحي لـــه أشـــدُّ وطـــاءً وقريضي أقوى وأقومُ قيلا (١)

وإنما ذكرت هذه الشواهد على سوئها ليجتنب سبيلها .

وفي البلاغـــيين مـــن يُعنى بالتنبيه على الاقتباس السيئ كابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـــــ) فإنـــه قال عن الاقتباس في الأبيات السابقة : إنه مردود ومـــرذول ، ومن المغالاة والإغراق، الذي يجر إلى الإخلال بالدين والعياذ بالله تعالى . وقال : "نعوذ بالله من هذا الكلام" (٢).

وقـــال ابن معصوم في اقتباس المرشدي السابق إلى أحد القضاة : " قلت : هذا وإن عده بعضهم من حسن الاقتباس ، إلا أني أراه من القسم المردود ، لتجاوزه الحـــدود " (٣) ومـــنهم مـــن يضع الضوابط لما يجوز شرعاً وما لا يجوز من الاقتـــبـــاس ، كما في قول ابن الأثير الحلبي : " إذا ضَمَّن المتكلم كلامه قرآناً وحديـــثاً ، يشـــترط عليه ألا يتعرض إلى نقص شيء من حكم تلك الآية ، أو يـــتعرض إلى تنقيص أحد من الأنبياء ، وأما إذا ضَمَّن كلامه تنقيص أحد دلت الآية على تعظيمه ، أو ضمّن إشـــارة لحكم الآية بتنقيص أو مخالفة ، فإن هذا تعدٍّ إلى الكفر" (٤).

---

(١) السابق (٢ / ٢٥٠) .

(٢) السابق (٢ / ٢٥١) .

(٣) أنوار الربيع (٢ / ٢٣٥) .

(٤) جوهر الكنـــز (٢٦٢) وينظر : حسن التوسل (٧٥) .

وعقد أبو منصور الثعالبي في كتابه " الاقتبـــاس من القـــرآن " باباً عنـــوانه (الاقتباس المكروه) قال فيه : " فصل في الخروج عن حد الاقتباس ؛ من ذلك أن يفرط الشاعر أو الكاتب من [1] حد الاقتباس ، حتى ينظر في قصة فيستقي منها صورة فيستفرغها ، كما قال أبو تمام ــ ويروى لغيره ــ :

أَيُّهذا العزيـــز قد مسَّـــنا الضُّرُّ (م) جميعـــا وأهلنا أشـــتاتُ

ولنا في الرجـــال شـــيخٌ كبير (م) ولدينا بضاعة مزجـــاةُ

فاحتسب أجرنا وأوف لنا الكيـــ . . . ـــل ســـريعاً فإننا أمواتُ

فأساء في هذا المعنى من الاقتباس ، وفي الألفاظ المقدسة التي وصل بها " [2]

ووضع صفي الدين الحِلّي تقسيماً حسناً يضبط لك الجائز والمباح والمردود من الاقتـــباس في الشـــعر والنثر ، وقد أعجب المؤلفون بهذا التقسيم ، ونقلوه إلى مصنفاتهم .

قال صفي الدين : " الاقتباس على ثلاثة أقسام :

١ ــ محمود مقبول .

٢ ــ مباح مبذول .

٣ ــ مردود مرذول .

فالأول:ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي ﷺ وآله وصحبه .

والثاني : ما كان في الغَزَل والصفات والقصص والرسائل ونحوها .

والثالث : على ضربين ؛ أحدهما : تضمين ما نسبه الله عز وجل إلى نفسه ، كما قيل عن أحد بني مروان : إنه وقّع على مطالعة فيها شكاية عن عُمَّاله : إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم .

---

(١) قال محققا الكتاب في الحاشية : " في الأصل : (في) " .

(٢) الاقتباس من القرآن (٢ / ٥٧) .

والآخـــر: تضـــمين آيـــة كريمة في معرض هزل أو سخف، كقول أحد العصريين..." [1] ثم ساق بيتين لا يليق نقلهما .

وقد أورد هذا التقسيم جلال الدين السيوطي ثم أتبعه بقوله : " قلت : وهذا التقسيم حسن جداً ، وبه أقول " [2].

واعـــلم أن الحديث في الاقتباس وأنواعه وأحكامه يستدعي أن نصله بشيء آخر قريب الصلة به ، ذلك هو :

إرسال المثل من القرآن والسنة :

إن في القرآن والسنة آيات وأحاديث فيها حكمة وبلاغة وإيجاز في اللفظ ، يضـــعها الناس في كلامهم موضع الأمثال ، لرشاقتها وإيجازها وحسن مدلولها وجريانها مجرى الأمثال .

فيُتمـــثَّل بذلك النوع من الآيات والأحاديث في الوقائع ، وفي المقامات التي يكون بينهـــا وبين ما تضمنته تلك الآيات والأحاديث تناسب ، ويسمى هـــذا (إرســـــال المثل) ، وهوأحد الفنون البديعية ، وهو غير الأمثال الصريحة التي تصدر بلفظ (مَثَل) أو (مَثَلُهم) ، ونحو ذلك [3] .

ومما يجري مجرى المثل من القرآن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإســـــراء: ٨١]، وقـــوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾

---

(١) شرح الكافية البديعية (٣٢٦) وينظر : خزانة الأدب (٢/٤٥٥) أنوار الربيع (٢ /٢١٩) الإتقان (١ /٣١٦) أبـــجد العلوم (٢ / ٤٩١) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١ / ٣١٦) .

(٣) يـــنظر : التمثيل والمحاضرة (١٥) تحرير التحبير (٢١٧) بديع القرآن (٨٧) مقدمة تفسير ابن النقيـــب (١٣٥) معترك الأقران (١ / ٤٧١)وقع الأسل فيمن جهل ضرب المثل (ل٨٦ / ب) تفسير التحرير والتنوير (١ / ١٢٣) معجم المصطلحات البلاغية (١ / ٩١) .

[فاطر: ٤٣] وقوله عز وجل ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٤] وقوله سبحانه: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] في مقام المتاركة (١) .

والتمثل بالقرآن شعبة من الاقتباس ونوع منه ، وهو جائز بل قد استحسنه العلماء إذا وقع في موضعه المناسب ، لما فيه من جمال التعبير وجلال الأداء ، وإصابة الغرض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ (ت ٧٢٨ هـ) : " إن تلا الآية عند الحكم الذي أنزلت له أو ما يناسبه من الأحكام فحسن . ومن هذا الباب ما بينه الفقهاء من الأحكام الثابتة بالقياس ، وما يتكلم فيه المشايخ والوعاظ ، فلو دعي الرجل إلى معصية قد تاب منها فقال: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف: ٨٩] وكذا لو قال عند همه وحزنه : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] ونحو ذلك كان حسناً " . (٢)

ولقد ثبت التمثل بالقرآن على لسان النبي ﷺ فيما رواه الشيخان عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال : " ألا تصليان" فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله ؛ فإذا شاء أن يبعثنا بَعَثنا . فانصرف رسول الله ﷺ حين قلنا ذلك ، ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه، ويقول : " وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً " (٣) قال الحافظ ابن حجر : " فيه جواز الانتزاع من القرآن " (٤).

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : دخل النبي ﷺ مكة ، وحول البيت ستون وثلاثمئة نُصُب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول :

---

(١) بلاغة القرآن لمحمد الخضر حسين (٥٧) .

(٢) مختصر الفتاوى المصرية (٥٧٩) .

(٣) البخاري (١ / ٣٧٩) (رقم ١٠٧٥) مسلم (١ / ٥٣٧) (رقم ٧٧٥) .

(٤) فتح الباري (٣ / ١٥) .

" جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد " (١) .

ومما جاء من هذا القبيل عن الصحابة ما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ ، فقد روى ابن سعد عن عمرو بن ميمون قال : رأيت عمر بن الخطاب يوم أصيب عليه إزار أصفر قد رفعه على صدره فأهوى وهو يقول : وكان أمر الله قدراً مقدوراً . (٢)

وثبت عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه كان يصلي الفجر بالناس فصاح به رجل من الخوارج قائلا : " ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] فترك علي سورته التي كان يقرأ فيها ثم قرأ :﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٣) [الروم: ٦٠] فتمثل عليّ ﷺ بهذه الآية للمسلم وهي نازلة في المشركين (٤) .

ومن تمثّل الصحابة أيضاً ما رواه الحارث بن عميرة أن معاذ بن جبل ﷺ حين دخل على ابنه عبد الرحمن وقد أصيب بالطاعون فوجده مكروباً ، فقال : يا عبد الرحمن كيف أنت ؟ فقال عبد الرحمن : يا أبت : الحق من ربك فلا

---

(١) البخاري (٤ / ١٧٤٩)(رقم ٤٤٤٣) مسلم (٣ / ١٤٠٨) (رقم ١٧٨١) .
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣ / ٣٤٨) وإسناده صحيح .
(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥ / ٣٠٧) والحاكم في المستدرك (٣ / ١٤٦) ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٢ / ٢٤٥) وإسناده قوي . ورواه ابن جرير في تفسيره جامع البيان (٢١ / ٥٩) عن قتادة مرسلاً به ، وإسناده صحيح .
(٤) ينظر جامع البيان (٢١ / ٥٩) وقع الأسل (ل ٨٧ / أ ، ب) .

تكونن من الممترين . فقال معاذ ﷺ : وأنا ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فمات من ليلته ودفن من الغد [١] .

وللسيوطي رسالة لطيفة وسمها بـ "وقع الأسل فيمن جهل ضرب المثل"[٢] رد بها على من أنكر ضرب المثل من القرآن ، وساق فيها جملة مما ورد عن الصحابة ﷺ والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وعلماء الأمة ، مما فيه تمثل بالقرآن .

ومن جيد ما جاء في رسالة السيوطي تلك وقوفه على قول عائشة بنت الصديق ـ رضي الله عنها ـ حين قالت لأهلها في حادثة الإفك : " والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف ، قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨] [٣] .

فأبان السيوطي باستشهاده بهذا الخبر أن التمثل بالقرآن كان معروفاً منذ الصدر الأول المبارك ، وبذلك الاسم نفسه .

ولئن كان التمثل بالقرآن جائزاً فينبغي أن يحتاط في الجواز ، ويقيد هذا الإطلاق ، فيقال : إن إرسال الأمثال من القرآن لا يكون إلا في المقامات الكريمة ،كالمواعظ والذكرى والنصح والتوجيه الفاضل ، ونحو ذلك من موارد الجد .

ولقدكره العلماء إرسال الأمثال القرآنية في المحاورات والمزاح ولغو الحديث نقل ذلك النووي وقال في إثره : " فيكره في كل ذلك ـ أي استعمال القرآن

---

(١) رواه البزار وابن أبي شيبة والطبراني ـ كما في بذل الماعون لابن حجر (٢٦٦) ـ وقال أي ابن حجر : " إسناده حسن " .

(٢) لم تطبع ، ومنها مصورة بجامعة الملك سعود برقم (١١٤٠٠ف) .

(٣) وقع الأسل (ل ٨٨ / أ) وقصة الإفك في صحيح البخاري (٤ / ١٧٧٧) رقم (٤٤٧٣) .

والتمثل به ــ تعظيماً لكتاب الله تعالى "[1]. وقال ابن عبد البر عند قوله ﷺ : " إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " : في هذا الحديث إباحة الاستشهاد بالقرآن فيما يحسن ويجمل "[2].

وهناك آيات في القرآن يحرم اتخاذها أمثالاً ، كمثل ما أضافه الله إلى نفسه الشريفة من كلامه عز وجل ، كما روي أن أحد الولاة مر على بعض المساجين فقال : اخسؤوا فيها ولا تكلمون [3].

والأحاديث النبوية مثل الآيات القرآنية في جواز التمثل بها ، فإن هنالك من الحديث ما يجري مجرى الأمثال ، وهو قليل اللفظ غزير المعنى ، يبلغ به المتكلم مراده بأيسر سبيل وأوجز لفظ ، مع ما يلحق السامع من الحبور والبشر والاقتناع ، ومما يتمثل به قوله ﷺ :" لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين "[4] وقوله ﷺ : " سبقك بها عُكّاشة "[5] وقوله ﷺ : " ليس الخبر كالمعاينة "[6] وقوله ﷺ : " لا ضرر ولا ضرار "[7].

وكان الجاحظ قد ذكر جملة من الأمثال النبوية في " البيان والتبيين " وصدّرها بقوله : " سنذكر من كلام رسول الله ﷺ مما لم يسبقه إليه عربي ولا

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٢ / ١٦٥) .
(٢) التمهيد (٢ / ٢٢٣) .
(٣) تهذيب التهذيب (٢ / ٢١٢) .
(٤) رواه البخاري (٥ / ٢٢٧١) رقم (٥٧٨٢) ومسلم (٤ / ٢٢٩٥) (رقم ٢٩٩٨) عن أبي هريرة ﷺ .
(٥) رواه البخاري (٥ /٢١٥٧) (رقم ٥٣٧٨) ومسلم (١ /١٩٩) (رقم ٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس ، وقال الشيخ أحمد شاكر : " إسناده صحيح " المسند (٣ / ٢٥٤) رقم (١٨٤٢) " طبعة الشيخ أحمد شاكر " .
(٧) رواه أحمد (٤ /٣١٠) (رقم ٢٨٦٧) (طبعة أحمد شاكر) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن ماجه (٢ / ٧٨٤) (رقم ٢٣٤١) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ . وقد صححه أحمد شاكر والألباني في السلسلة الصحيحة (١/٤٤٣) (رقم ٢٥٠) .

شاركه فيه أعجمي ، ولم يُدَّعَ لأحد ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً " وأورد من ذلك قوله ﷺ : " حمي الوطيس " (١)

ولقد نُقل عن العلماء كلمات فيها تمثل بالحديث ذات طرفة وفائدة ، فمن ذلك ما نُقل عن القاضي محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ـ رحمه الله ـ حين قيل له : ألا تشرح الجامع الصحيح للبخاري ؟ فأجاب بقوله : " لا هجرة بعد الفتح " (٢) متمثلاً بالحديث المشهور المخرج في الصحيحين وغيرهما (٣) ، ويريد الشوكاني بالفتح هنا " فتح الباري في شرح صحيح البخاري " للحافظ ابن حجر العسقلاني الذي لم يُصنف مثله في بابه باتفاق العلماء ، بل قيل : " ما ألف في ملة الإسلام شرح على جميع المصنفات في علم الحديث مثل هذا الشرح " (٤) .

وبذلك يظهر لك حسن قول الشوكاني وإصابته في تمثله بالحديث ، وقد قال ناقل الخبر عنه الشيخ صديق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ) : "ولا يخفى ما فيه من اللطف" (٥).

ويذكر ابن أبي الإصبع المصري أنه صنع كتاباً حافلاً استقصى فيه ما جرى مجرى الأمثال من القرآن والسنة والشعر، سماه " درر الأمثال " (٦)

الفرق بين الاقتباس وبين إرسال المثل :

فإن قيل : ما الفرق بين الاقتباس وبين إرسال المثل من القرآن والسنة ؟

---

(١) رواه مسلم (٣ / ١٣٩٨) (رقم ١٧٧٥) عن العباس بن عبد المطلب ﷺ .
(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة (١٣٢) وينظر : فهرس الفهارس والأثبات (١ / ٣٢٣) .
(٣) البخاري (٢ / ٦٥١) (رقم ١٧٣٧) مسلم (٣ / ١٤٨٨) (رقم ١٨٦٤) .
(٤) فهرس الفهارس والأثبات (١ / ٢٣٨) .
(٥) الحطة في ذكر الصحاح الستة (١٣٢) .
(٦) بديع القرآن (٨٨) تحرير التحبير (٢١٩) قال محقق بديع القرآن : " قد بحثنا فيما لدينا من المظان عن هذا الكتاب لابن أبي الإصبع فلم نعثر عليه ، فتأمل " .

أجيب : بأن إرسال المثل من القرآن والسنة نوع من الاقتباس كما مضت الإشارة إليه ، إلا أن هناك فرقاً لطيفاً بينهما وهو أن الاقتباس تأتي فيه الجمل القرآنية والنبوية ــ أو ما يماثلها على الأصح ــ في ضمن كلام للمتكلم، كما جاء في الشواهد في أول البحث، أما إرسال المثل من القرآن والسنة فلا يلفظ فيه غالباً إلا بنص الآية أو الحديث فحسب ، فتكون الآية والحديث مغنيين عمّا عداهما من القول . ويرى السيوطي أن السلف من الصحابة والتابعين كانوا يطلقون التمثل وضرب المثل ويريدون به النوعين معاً الاقتباس وإرسال الأمثال . (١)

وثمة مسألة جديرة بأن تثار ويُنبه إليها ، وهي أنه ينبغي أن يفرق بين إرسال المثل من القرآن ، وهو ما يأتي عرضاً في واقعةٍ ما ، في بعض الأحايين ولمناسبة ملائمة ، وبين التحدث بالقرآن ، أي جعل القرآن بدل الكلام ، كمن يقول لخادمه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، ومن يقول لرجل اسمه موسى : وجئت على قدر يا موسى ، ونحو ذلك ، فإن هذا لا يجوز ، لما فيه من انتفاء الأدب مع كلام الله عز وجل ، وامتهان القرآن باستعماله في غير ما أنزل له ، وجَعَل الزمخشري التحدث بالقرآن من صنيع الجهلة، فهم الذين يتمثلون بالقرآن " في أمور الدنيا وخسائس الأعمال، وفي ذلك ابتذال وامتهان " (٢).

وقد قطع غير واحد من العلماء بمنع ذلك ، منهم القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) (٣) وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي (ت٥١٣ هـ) (٤) وابن

---

(١) رفع الباس (١ / ٢٥٩) .

(٢) الفائق في غريب الحديث (٣ / ٤٤٦) .

(٣) إكمال المعلم (٦ / ١٨٠) .

(٤) الكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة (١ / ٤١٩) .

الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) [١] وابن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) [٢] وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) [٣] وابن مفلح (ت ٧٦٣ هـ) [٤] وغيرهم ، ونقل إبراهيم النخعي (ت ٩٦ هـ) عن السلف كراهته ، فقال : " كانوا يكرهون أن يذكروا الآية عند الشيء يعرض من أمر الدنيا ، كقول القائل للرجل إذا جاء في الوقت الذي يريد صاحبه : وجئت على قدر يا موسى ، وما أشبهه من الكلام " [٥] .

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام عن الزهري (ت ١٢٤ هـ) قوله : " لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله ﷺ"وفسره أبو عبيد في أحد وجهيه بهذا [٦] .

وقال ابن قدامة : " فصل : ولا يجوز أن يجعل القرآن بدلاً من الكلام ، لأنه استعمالٌ له في غير ما هو له ،فأشبه استعمال المصحف في التوسد ونحوه "[٧] والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) تلبيس إبليس (١٥٧) .

(٢) الكافي (١ / ٤١٩) المغني مع الشرح الكبير (٤ / ٤٨٢) .

(٣) مختصر الفتاوى المصرية (٥٧٩) .

(٤) الآداب الشرعية (٢ / ٢٧٧) وينظر :كشاف القناع (٢ / ٤٢٣) غذاء الألباب (١ / ٤٠٣) .

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد (٤ / ٤٧٥) وينظر : الإتقان في علوم القرآن (١ / ٣١٦) .

(٦) غريب الحديث لأبي عبيد (٤ / ٤٧٥) .

(٧) المغني مع الشرح الكبير (٤ / ٤٨٢) وذكر السيوطي أن التحدث بالقرآن من عادات الصوفية (رفع الباس ١/ ٢٥٩) ونقل ابن الجوزي عن ابن عقيل الحنبلي هذا الخبر : " قال ابن عقيل : كان أبو إسحاق الخزّاز صالحاً ، وهو أول من لقّنني كتاب الله ، وكان من عادته الإمساك عن الكلام في شهر رمضان ، فكان يخاطب بآي القرآن فيما يعرض إليه من الحوائج ، فيقول في إذنه : ادخلوا عليهم الباب ، ويقول لابنه في عشية الصوم : من بقلها وقثّائها ، آمراً له أن يشتري البقل ، فقلت له : هذا الذي تعتقده عبادة هو معصية ، فصعُب عليه ، فقلت : إن هذا القرآن العزيز أُنزل في بيان أحكام شرعية ، فلا يستعمل في أغراض دنيوية ، وما هذا إلا بمثابة صَرِّكَ السِّدْرَ والأُشْنان في ورق المصحف ، أو توسُّدك له ، فهجرني ، ولم يصغ إلى الحجة " تلبيس إبليس (١٥٧) .

تنبيه : روي في بعض كتب الأدب كالمستطرف للأبشيهي (١/١٠٠) أن عبد الله بن المبارك لقي عجوزاً لا تتكلم إلا بالقرآن، وأنه طفق يحاورها وتجيبه هي بالآيات ، وما أظن هذا الخبر صحيحاً ، وابن المبارك أجل من أن يقف هذا الموقف ويرضى بهذا الصنيع ، وكتب الأدب لا يعول عليها في مثل هذه الأخبار . ينظر : بلاغة القرآن لمحمد الخضر حسين (٥٨) .

الخاتمة :

وبعد تلك الجولة في هذا البحث يجمل أن أختمه بموجز يجمع رؤوس مسائله وما انتهى إليه من النتائج ، فأقول :

* إن البحث قد بدئ بتعريف الاقتباس ، وتحديد مفهومه ودلالته عند البلاغيين ، وجرى اختيار تعريف له مناسب .

* ثم استعرض سير هذا المصطلح في مصنفات العلماء ، وتقسيمات البلاغيين لأضربه وبيانها بشواهدها المختلفة من النثر والشعر .

* وألم البحث بعد هذا بتاريخ الاقتباس وأصل حدوثه ، مفصحاً عن وظيفة الاقتباس من القرآن والسنة ، وأهميته .

* وعقد البحث عنواناً للاقتباس وموقعه البلاغي ، ومحله من الفنون البديعية وامتد القول هاهنا ليتناول مسألة مهمة ، وهي علم البديع من حيث منزلته بين قسيميه: المعاني والبيان ، وقد أحله البحث منهما محله اللائق به .

* ثم توِّج البحث ببيان أحكام الاقتباس بتفاصيله ، ونُقلت هناك مذاهب العلماء في هذا وفتاواهم ، مع الاستدلال على ما يوردُ من كلامهم ويُختارُ من آرائهم بما ثبت في السنة من لطيف الاقتباس ، وما جاء عن الصحابة الكرام ﷺ والتابعين ، ومن تلاهم من الأئمة وفضلاء الأمة .

* ولقد رمى البحث إلى غرض آخر من وراء بث هذه الأدلة ، وهو أن تكون شواهد ومثلاً على أضرب الاقتباس وأنواعه المختلفة .

* وكان مما كشف البحث النقاب عنه أن الاقتباس من القرآن والسنة في أساليب النثر جائز بإجماع أهل العلم، وأما الاقتباس من القرآن في الشعر فجائز

عند جمهور العلماء، وهو الصحيح . وأثبت البحث أنه لا فرق بين النثر والشعر في هذه البابة .

* وأبان البحث أن في القرآن أشياء لا يجوز اقتباسها في شعر ولا نثر ، كمثل ما أضافه الله إلى نفسه الشريفة ، وما خوطب به الرب عز وجل .

* وقد طاف البحث بقضايا لها تعلق بموضوعه ، كإرسال المثل من القرآن والسنة ، وجرى تفصيل وشرح واستشهاد لهذا الأسلوب البياني ، وذكر ما يجوز استعماله منه وما لا يجوز ، وكشف الصلة بين إرسال المثل وبين الاقتباس وما يفترقان فيه .

* وعرض البحث في نهاية أمره لمسألة التحدث بالقرآن بدل الكلام ، وأبان سوءها ، وما قاله العلماء فيها من الذم والتحذير . إلى غير ذلك من المسائل الجانبية، التي ترى في ضمن البحث وطياته .

والحمد لله مفتتحاً ومختتماً . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

ثبت المصادر والمراجع * :

أولاً : المخطوطات والرسائل العلمية :

١ ــ **أحاسن الاقتباس في محاسن الاقتباس** : جلال الدين السيوطي ، نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (٩٧ مجاميع) .

٢ ــ **شرح البديعية** : إسماعيل بن المقرئ ، نسخة مصورة بجامعة الملك سعود برقم (٩١٣ ص) .

٣ ــ **طرة العلامة محنض باب بن عبيد الديماني على عقود الجمان للسيوطي،** بخط محمد سعيد بن بدي ، نسخة مصورة عن إحدى المكتبات الخاصة .

٤ ــ **المصباح شرح المفتاح** : الشريف الجرجاني، تحقيق فريد النكلاوي، رسالة دكتوراه ،كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٣٩٧ هـ .

٥ ــ **مفتاح المفتاح** : قطب الدين الشيرازي ، نسخة مصورة بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية برقم (١١٥١٦ف) .

٦ ــ **نواهد الأبكار وشواهد الأفكار (حاشية على تفسير البيضاوي)** : جلال الدين السيوطي ، نسخة مؤسسة الملك فيصل الخيرية برقم (١٣٩) .

٧ ــ **وقع الأسل فيمن جهل ضرب المثل** : جلال الدين السيوطي ، نسخة مصورة بجامعة الملك سعود برقم (١١٤٠٠ ف) .

* ما جاء من المصادر دون تاريخ فهو هكذا في الأصل .

ثانياً : المطبـــوعات :

١ ــ **الآداب الشرعية** : ابن مفلح المقدسي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وزميله، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـــ .

٢ ــ **أبجد العلوم** : صديق حسن خان، إعداد عبد الجبار زكار ، وزارة الثقافة والإرشاد ، دمشق ، ١٩٧٨ م .

٣ ــ **إبراز المعاني من حرز الأماني** : أبو شامة المقدسي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٤٠٢ هـــ .

٤ ــ **الإتقان في علوم القرآن** : جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـــ .

٥ ــ **أساس البلاغة** : جار الله الزمخشري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة الثالثة .

٦ــ **الأطـــول** : عصـــام الدين الأسفراييني ، المطبعة العامرة ، القسطنطينية ، ١٢٨٤ هـــ .

٧ ــ **إعجاز القرآن** : أبو بكر الباقلاني، تحقيق السيد أحمد الصقر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الخامسة .

٨ ــ **الاقتباس من القرآن** : أبو منصور الثعالبي ، تحقيق د. ابتسام الصفار ود. مجاهد مصطفى بهجت ، دار الوفاء ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـــ .

٩ ــ **الإكسير في علم التفسير** : سليمان الطوفي ، تحقيق د.عبد القادر حسين ، المطبعة النموذجية ، مصر .

١٠ ــ **إكمـــال المعلم بفوائد مسلم** : القاضي عياض، تحقيق د. يحيى إسماعيل ، دار الوفاء ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـــ .

١١ ــ **الأم** : الإمام الشافعي ، تعليق محمود مطرجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـــ .

١٢ ــ **الإنصـــاف في معرفة الراجح من الخلاف** : علاء الدين المرداوي ، تصحيح محمد حامد الفقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية .

١٣ ــ **أنوار الربيع في أنواع البديع** : ابن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان ، النجف ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ .

١٤ ــ **الإيضاح** : الخطيب القزويني (ضمن شروح التلخيص) .

١٥ ــ **الـــبديع** : عبد الله بن المعتز ، عني به كراتشقوفسكي، تصوير دار المسيرة، بيروت ، ١٩٨٢ م .

١٦ ــ **بديـــع القرآن** : ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق حفني محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٧ هـ .

١٧ ــ **بذل الماعون في فضل الطاعون** : الحافظ ابن حجر ، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .

١٨ ــ **الـــبرهان في علوم القرآن** : بدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة دار التراث ، مصر .

١٩ ــ **بلاغـــة القـــرآن** : محمد الخضر حسين ، إعداد علي الرضا الحسيني ، الدار الحسينية للكتاب ، ١٤١٧ هـ .

٢٠ ــ **الـــبلاغة تطـــور وتاريخ** : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الخامسة .

٢١ ــ **الـــبلاغة عند السكاكي** : د. أحمد مطلوب ، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ .

٢٢ ــ **البـــيان والتبـــيين** : أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر .

٢٣ ــ **تاريخ دمشق** : أبو القاسم بن عساكر ، تحقيق عمر العَمْري، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ .

٢٤ ــ **التبيان في آداب حملة القرآن** : يحيى بن شرف الدين النووي ، دار ابن كثير، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ .

٢٥ ــ **التبيان في علم المعاني والبديع والبيان** : شرف الدين الطيبي ، تحقيق د. هادي مطر الهلالي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .

٢٦ ــ **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري** : أبو القاسم بن عساكر ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .

٢٧ ــ **تحرير التحبير** : ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، ١٣٨٣ هـ .

٢٨ ــ **تحفة المودود بأحكام المولود** : ابن قيم الجوزية ، تحقيق سليم الهلالي ، دار القيم ، الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ .

٢٩ ــ **التعريفات** : الشريف الجرجاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هـ .

٣٠ ــ **تفسير ابن أبي حاتم الرازي** : تحقيق أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار الباز ، مكة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ .

٣١ ــ **تفسير التحرير والتنوير** : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ م .

٣٢ ــ **تقرير الإنبابي على الشرح المختصر للتفتازاني** : الشمس الإنبابي (بهامش حاشية النبابي) .

٣٣ ــ **تلبيس إبليس** : أبو الفرج بن الجوزي، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر، ١٣٦٨هـ .

٣٤ ــ **تلخيص المفتاح** : الخطيب القزويني ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ، الطبعة الأخيرة .

٣٥ ــ **التمثيل والمحاضرة** : أبو منصور الثعالبي ، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٣ م .

٣٦ ــ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** : أبو عمر بن عبد البر ، طبعة المغرب ، بدءاً من سنة ١٣٨٧ هـ .

٣٧ ــ **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك** : جلال الدين السيوطي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

٣٨ ــ **تهذيب التهذيب** : الحافظ ابن حجر ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٥ هـ .

٣٩ ــ **تهذيب الإيضاح**: عز الدين التنوخي ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٦٧ هـ .

٤٠ ــ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٨هـ .

٤١ ــ **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)** : أبو عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ .

٤٢ ــ **جوهر الكنز** : نجم الدين بن الأثير ، تحقيق د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية .

٤٣ ــ **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** : ابن قيم الجوزية ، تحقيق السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ .

٤٤ ــ **حاشية البنابي على الشرح المختصر للتفتازاني** : مصطفى البنابي، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٣١ هـ .

٤٥ ــ **حاشية ابن عابدين على الدر المختار** : محمد أمين بن عابدين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، مصر ، ١٣٨٦ هـ .

٤٦ ــ **حاشية ابن عرفة الدسوقي على مختصر السعد** : (ضمن شروح التلخيص) .

٤٧ ــ **حاشية الشرواني على تحفة المنهاج** ، المطبعة الميمنية ، مصر ،١٣١٥ هـ .

٤٨ ــ **حاشية نهاية المحتاج** : أبو الضياء الشبراملسي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ١٤٠٤ هـ .

٤٩ ــ **الحطة في ذكر الصحاح الستة** : صديق حسن خان ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٥٠ ــ **حسن التوسل إلى صناعة الترسل** : شهاب الدين الحلبي ، تحقيق د. أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٠ م .

٥١ ــ **حلية الأولياء** : أبو نعيم الأصفهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٧ هـ .

٥٢ ــ **خزانة الأدب** : ابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو ، دار ومكتبة هلال الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

٥٣ ــ **خلاصة المعاني** : الحسن بن عثمان المفتي ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، الناشرون العرب ، السعودية .

٥٤ ــ **الدر المنتقَى في شرح الملتقى** : علاء الدين الحصكفي (بهامش مجمع الأنهر) ، دار الطباعة العامرة ، إسطنبول ، ١٣١٩ هـ .

٥٥ ــ **دراسات في علم البديع** : د. أحمد محمد علي ، مطبعة الأمانة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

٥٦ ــ **ديــوان أبي تمام (بشرح التبريزي)** تقديم : راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هــ .

٥٧ ــ ديوان ابن الرومي : تحقيق د.حسين نصار ،القاهرة : ١٩٧٣ ــ ١٩٧٨ م .

٥٨ ــ **ديــوان خطب عبد الرحيم ابن نباته** : شــرح طاهر الجزائــري ، مطبعة جريدة بيروت ، ١٣١١هــ .

٥٩ ــ **ديوان العرجي** : تحقيق د. سجيع الجبيلي ، دار صــادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

٦٠ ــ **الرسالة للإمام الشافعي** ، تحقيق أحمد شاكر ، دار التراث ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٩٩ هــ .

٦١ ــ **رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس** : جلال الديــن الســيوطي ــ ضمن كتــاب الحاوي للفتــاوي ــ دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ١٤٠٨ هــ .

٦٢ ــ **الــزهد** : عبد الله بن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٣ ــ **السلســلة الضــعيفة** : ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هــ .

٦٤ ــ **سنن أبي داود**:تعليق عزت عبيد الدعاس ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هــ .

٦٥ ــ **ســنن ابــن ماجه** : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

٦٦ ــ **ســنن النســائي** : اعــتنى بــه عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإســلامية ، حلب، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هــ .

٦٧ ــ **السنن الكبرى** : الحافظ البيهقي ، تصوير دار المعرفة ، بيروت .

٦٨ ــ **ســير أعلام النبلاء** : الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ .

٦٩ ــ **شــرح ألفــية ابــن معط** : عز الدين بن القواس ، تحقيق د. علي موسى الشوملي ، مكتبة الخريجي ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٧٠ ــ **شــرح التلخيص** : أكمل الدين البابرتي ، تحقيق د. محمد مصطفى رمضان صوفية ، المنشأة العامة ، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ و ــ د .

٧١ ــ **شرح سنن النسائي** : جلال الدين السيوطي (بهامش السنن) .

٧٢ ــ **شرح صحيح مسلم** : محيي الدين النووي ، دار الريان ، مصر .

٧٣ ــ **شــرح عقــود الجمان** : عبد الرحمن بن عيسى العمري المرشدي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٧٤ هـ .

٧٤ ــ **شرح عقود الجمان**:جلال الدين السيوطي (بهامش شرح المرشدي) .

٧٥ ــ **شــرح علــل الترمذي** : ابن رجب الحنبلي ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الملاح، دمشق الطبعة الأولى ، ١٣٩٨ هـ .

٧٦ ــ **شــرح الكافية البديعية** : صفي الدين الحلي ، تحقيق : د. نسيب نشاوي ، طبع مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ .

٧٧ ــ **شــرح المواهــب اللدنــية** : محمد عبد الباقي الزرقاني ، المطبعة العامرة ، الأزهرية ، مصر ، ١٣٢٩هـ .

٧٨ ــ **شــرح موطــأ الإمــام مــالك** : محمد الزرقاني ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣١٠ هـ .

٧٩ ــ **شــروح التلخيص** : القزويني ، التفتازاني ، ابن يعقوب ، السبكي ، مطبعة بولاق ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣١٧هـ .

٨٠ ــ **شعب الإيمان** : أبو بكر البيهقي ، تحقيق بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .

٨١ ــ **الصحاح** : إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ .

٨٢ ــ **صحيح سنن الترمذي** : ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية لدول الخليج ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

٨٣ ــ **الصبغ البديعي** : أحمد إبراهيم موسى، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٣٨٨هـ .

٨٤ ــ **صحيح البخاري** : ترقيم د. مصطفى ديب البغا ، دار اليمامة ، دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٤ هـ .

٨٥ ــ **صحيح مسلم** : ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية ، استانبول .

٨٦ ــ **طبقات الشافعية الكبرى** : تاج الدين السبكي ، تحقيق د. محمود الطناحي وزميله،هجر للطباعة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣ هـ .

٨٧ ــ **الطبقات الكبرى** : ابن سعد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ .

٨٨ ــ **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** : يحيى بن حمزة العلوي ، تصحيح سيد بن علي المرصفي ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٣٣٢ هـ .

٨٩ ــ **طراز الحلة وشفاء الغلة** : أبو جعفر الرعيني الغرناطي ، تحقيق د. رجاء السيد الجوهري ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية .

٩٠ ــ **عروس الأفراح** : البهاء السبكي ، (ضمن شروح التلخيص) .

٩١ ــ **العقيدة الواسطية** : شيخ الإسلام ابن تيمية (مع شرح د. صالح الفوزان) مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة السادسة ، ١٤١٣ هـ .

٩٢ ــ **العلــل المتناهــية في الأحاديث الواهية** : ابن الجوزي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور .

٩٣ ــ **عــون المعبود شرح سنن أبي داود** : أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي ، مكتبة الإيمان ، مصر ، الطبعة الثانية .

٩٤ ــ **غــذاء الألــباب شرح منظومة الآداب** : محمد السفاريني، مؤسسة قرطبة، السعودية .

٩٥ ــ **غريب الحديث** : أبو عبيد القاسم بن سلام، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ .

٩٦ ــ **فهــرس الفهارس والأثبات** : عبد الحي الكتاني ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .

٩٧ ــ **الفواكــه الدواني شرح رسالة أبي زيد القيرواني** : أحمد بن غنيم النفراوي المالكي ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة ، مصر ، ١٣٧٤ هـ .

٩٨ ــ **فــيض الفــتاح على نور الأقاح** : عبد الله بن الحاج العلوي الشنقيطي ، بإشراف محمد الأمين بن محمد بيب ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ .

٩٩ ــ **الكــافي في فقه الإمام أحمد** : الموفق ابن قدامة ، تحقيق : سعيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ .

١٠٠ ــ **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية** : ابن قيم الجوزية (مع شرح أحمد بن عيسى) ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ .

١٠١ ــ **كشــاف اصــطلاحات الفــنون** : محمد التهانوي ، تصوير دار صادر ، بيروت .

١٠٢ ــ **كشــاف القــناع عــن متن الإقناع** : منصور البهوتي ، مطبعة الحكومة السعودية،١٣٩٤ هـ .

١٠٣ ــ **كشف الظنون وذيوله** : حاجي خليفة ،تصوير دار العلوم ، بيروت .

١٠٤ ــ **الكليات** : أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش وزميله، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ .

١٠٥ ــ **لسان العرب** : ابن منظور ، تحقيق عبد الله علي الكبير وزميليه ، طبعة دار المعارف ، مصر .

١٠٦ ــ **المثل السائر** : ضياء الدين بن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي وزميله، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية .

١٠٧ ــ **مجموع الفتاوى** : شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، طبع الحكومة السعودية .

١٠٨ ــ **المختصر (شرح التفتازاني على التلخيص)** ، سعد الدين التفتازاني ، (ضمن شروح التلخيص) .

١٠٩ ــ **مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية** : اختصره بدر الدين البعلي، راجعه أحمد حمدي إمام ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٤٠٠ هـ .

١١٠ ــ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** : الملا علي القاري ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

١١١ ــ **المستدرك على الصحيحين** : أبو عبد الله الحاكم ، دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد .

١١٢ ــ **المستطرف في كل فن مستظرف** : شهاب الدين الأبشيهي ، تحقيق محمد سعيد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

١١٣ ــ **المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل** : محمد الإفراني، تحقيق محمد العمري، طبع وزارة الأوقاف ، المغرب ، ١٤١٨ هـ .

١١٤ ــ **المسند**:الإمام أحمد بن حنبل ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ،١٣١٣ هـ .[١]
ــ نسخة أخرى : تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر .
١١٥ ــ **المصنف في الأحاديث والآثار** : أبو بكر بن أبي شيبة ، تحقيق عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .
١١٦ ــ **المطول** : سعد الدين التفتازاني ، المطبعة القسطنطينية ، ١٣٣٠ هـ .
١١٧ ــ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** : عبد الرحيم العباسي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، تصوير عالم الكتب ، بيروت .
١١٨ ــ **معترك الأقران في إعجاز القرآن** : جلال الدين السيوطي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، مصر .
١١٩ ــ **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** : د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٣ هـ .
١٢٠ــ **معيار النظار في علوم الأشعار** : عبد الوهاب الزنجاني ، تحقيق د. محمد علي الخفاجي ، دار المعارف ، مصر .
١٢١ ــ **المغني** : ابن قدامة (مع الشرح الكبير) دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٢٢ ــ **مفتاح دار السعادة** : ابن قيم الجوزية ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، دار ابن عفان ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .
١٢٣ــ **مقامات الحريري** : أبو محمد الحريري ، مطبعة دار الكتب العربية، مصر ، ١٣٢٦هـ .
١٢٤ ــ **مقدمة ابن الصلاح (في علم مصطلح الحديث)** تحقيق : د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر .

---

(١) هذه هي النسخة المعتمدة في البحث عند الإطلاق ، وإذا رجعت إلى النسخة الأخرى نبهت على هذا في موضعه .

١٢٥ ــ **مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع** : جمال الدين بن النقيب، تحقيق د. زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

١٢٦ ــ **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب** : أمين الخولي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ م .

١٢٧ ــ **من بلاغة القرآن** : أحمد بدوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

١٢٨ ــ **المنح المكية في شرح الهمزية** : ابن حجر الهيتمي، تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .

١٢٩ ــ **المنهاج الواضح للبلاغة** : حامد عوني ، مكتبة الجامعة الأزهرية ، مصر .

١٣٠ ــ **الموسوعة الفقهية** : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ .

١٣١ ــ **الموطأ** : الإمام مالك ، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

١٣٢ ــ **النفحة البشامية في بيان حكم السرقات الكلامية** : صديق حسن خان (ضمن مجموعة دليل الطالب على أصدق المطالب) طبع الهند ، ١٢٩٥ هـ . (١)

١٣٣ ــ **نهاية الأرب في فنون الأدب** : شهاب الدين النويري، مطبعة دار الكتب، مصر ، ١٣٤٢ هـ .

١٣٤ ــ **نهاية الإيجاز** : الفخر الرازي ، تحقيق د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ م .

---

(١) مطبوع باللغة الفارسية ، وقد صوّر لي تلك الرسالة منه الدكتور لقمان السلفي الداعية في إدارة الإفتاء ، وترجمها الشيخ عبد الرشيد بن عبد المنان غلام الله ، جزاهما الله خيرا . وقد طبع = بأخرة نصف المجموع منقولاً إلى العربية بعناية دار الداعي بالرياض (سنة ١٤٢٢) ، وليس فيه الرسالة المذكورة .

١٣٥ ــ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار** : محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وزميله ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر .

١٣٦ ــ **وصايا العلماء عند حضور الموت** : أبو سليمان بن زبر الربعي ، تحقيق صلاح محمد الخيمي ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ .